

السياق اللغوي

عبد الحليم

مجلد

السياق

مشتقات جاز ورملة

السياق اللغوي

عبد الحليم

السياق : ١٥٠٠ جاز

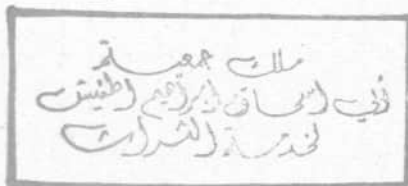
الكتاب من أسس العلوم الشرعية

مارس ١٩٩٦

القرار

عبد الحليم عيسى

مكتبة جامعة القاهرة
عبد الحليم عيسى



الميثاق الغليظ

منقورات جيل ورسالة
ليبيا

الميثاق الغليظ

منقورات جيل ورسالة
ليبيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« والله جعل لكم من انفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من
ازواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات . »

سورة النحل : ٧٢

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا
إليها ، وجعل بينكم مودةً ورحمة ، إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون . »

سورة الروم : ٢١

« اربع من أصابهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة :
قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ،
وزوجة لا تبغيه حوباً في نفسها وماله . »

حديث شريف

« ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ،
والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف . »

حديث شريف

« من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . »

حديث شريف

« زوج بنتك ممن يتقي الله ، فان احبها اكرمها ، وان
ابغضها لم يظلمها . »

الحسن بن علي بن أبي طالب

هفت، ستره

يسرني ان اضع بين يدي القارئ الكريم ، هذه الفصول التي تتناول جانباً اجتماعياً هاماً من جوانب الحياة عندنا بالبحث والكشف ووصف العلاج .

ويسرني ايضاً ان اعترف ، انها ليست دراسة علمية ، وإنما هي أحاديث من النوع الذي يدور في المجالس الخاصة ، فيه عنف النقد ، وفيه صراحة التعبير ، وفيه حرارة النقاش ، وفيه عدم التكلّف وعدم المراعاة ، وفيه العمل على إبراز الصورة باوضح ما يستطيع القلم . قلبي أنا

دفعني الى كتابة هذه الفصول في مبدأ الأمر تلك الحملة العنيفة التي شنت على غلاء المهور في جميع الواجهات ، فعزمت على الاشتراك فيها على هدي من الكتاب والسنة . وعلى احسن ما وصلت اليه من رأي . وشرعت في دراسة موضوع غلاء المهور في الواقع ، وكما يجري التعامل فيه بين الناس . فصدمتني عدة حقائق ، وتكشفت لي أمور كثيرة لم تكن في تقدير ولا حساب .

تبيّن لي من الوقائع التي رجعت إليها ، والدراسات التي أجريتها ، والمناقشات التي دارت بيني وبين كثير ممن يعرف أسرار المجتمع ودخائله ، أن غلاء المهور ، لا يكون إلا جزءاً يسيراً من المشكلة التي يثور حولها الجدل ، وتشتد الخصومة ، وترتفع أصوات الشكوى المرة والنقد العنيف .
وان جذور المشكلة إنما تتكون من ركाम من العادات ، منها القديم ومنها الجديد ، ومنها النابع من البيئة ، ومنها المستورد من الخارج ، ومنها الزاحف مع بلايا الاستعمار الكثيرة ، وان مجموع تلك العادات وما ينتج عنها هي المشكلة الحقيقية التي يشكو الشباب منها ، ويراهم عقبة كأداء تحول دون إتمام الزواج في سهولة ويسر . واعتبار الشباب ان مشكلتهم نابعة من غلاء المهور فقط فيه كثير من عدم الدقة وعدم الروي ، لأن غلاء المهور لا يكون الا الجزء الاضعف من المشكلة .

وفي هذه الفصول حاولت ان اعرض على القارئ الكريم تلك العادات التي تعاونت على تكوين المشكلة وبناء العقبة ، وان اصور له آثارها ونتائجها ، وان اكشف له عن الأيدي التي تسعى بها وتنشرها وتمدها . آملاً ان يفرق الشباب بين العادات الاصلية النابعة من الدين القويم او الخلق الكريم وبين العادات الدخيلة التي يزرعها في المجتمع اول ما يزرعها صلف وغرور ، او جهل وغباء ، او تبعية وتقليد . وان يعمل الشباب المتعلم المتدين على محاربة تلك العادات

مجزأة ، فيمنع ما لم يستحكم منها ، من التسرّب والانتشار .
 ويحطم ما استحكم منها بالاعراض عنها واستبدالها بما يناسب
 دين المجتمع القيم وفكره المتزن ، وعقله النير .
 ويتحمّ عليّ في آخر هذه المقدمة وقبل ان يدخل القارىء
 والقارئة الكريمان الى معركة العادات في وسط الكتاب ان
 اعتذر الى من لم تعجبهم طريقة عرضي للموضوع او لم يجدوا
 فيها فائدة تعوضهم عما بذلوا من مال أو وقت . ان هذا
 احسن ما توصلت اليه مع الجدل والحرص على افادة القارىء
 الكريم . كما انني التمس من النساء القاضلات المعذرة
 لقلمي وهو يتغلغل داخل المجتمعات النسوية الخاصة ،
 ويتناول بصراحة ووقاحة سيرتهن واعمالهن هناك . فان
 للمجتمعات النسوية الخاصة حرمة وقداسة لا يحق للرجل ان
 يدخلها الا في المجتمعات التي ديس فيها الحرم وماتت القيم ،
 بدعوى الحقوق والحريات ، وفتنة العداة والمساواة ، وتلك
 المصائب لم تتمكن بعد من مجتمعا المسلم النظيف . وان كانت
 تتجه الينا قاصدة الاستيلاء على حصوننا الاخلاقية ومعقلنا
 الدينية ، وهي تشرع اسلحتها التي حطمت بها اديان وأخلاق
 كثير من الشعوب فمسختها من شعوب ذات غيرة ونخوة
 وكرامة إلى قطعان من البشر تجمع بينهم الغريزة ، وتربط
 الشهوة ، ويقودهم الخائضون في الوحل . او كما يدخل
 الطبيب على امرأة اجنبية يكشف عنها ، للفحص وتشخيص
 الداء . وهذا هو الموقف الذي اعطيته لنفسي وانا اتحدث عن

المجتمعات النسوية ، فان قصدي كما تعرف الاخوات
الفاضلات ، ان نعمل جميعاً على تطهير مجتمعاتنا من الشوائب ،
وان نيسر الحياة على أبنائنا وبناتنا ، وان نذيب العقبات التي
تقوم أمامهم ، وان نوصل اليهم حقوقهم كما يقتضيها
الحق ، وان نقيهم جميعاً شر العادات المنحرفة ، والغباء
المستحكم ، والجهل الذي لا يحسن معه العمل .

نسأل الله تبارك وتعالى ان يجعلنا ممن يقول الحق ويعمل
به ، وان يهدينا ويهدي بنا ، فانه ولي التوفيق والهداية ، وهو
نعم المولى ونعم النصير

الرباط المقدس

أثرت أن استعمل كلمة - الرباط - في العلاقة الشرعية الثابتة التي تجمع بين رجل وامرأة كانا - قبلها - أجنبيين عن بعضهما فأصبحا على صلة أقوى من أية صلة أخرى تجمع بين اثنين . فعلى هذا الرباط تنبئ الحياة البشرية النظيفة ، وقد استعمل بعض الكتاب كلمة - الارتباط - لهذا المعنى . وقد يخيل للقارئ عند أول وهلة أنها تؤدي نفس المعنى ولكن الحقيقة ان كلمة الارتباط اذا استعملت في هذا الغرض فإنها قد تؤدي هذا المعنى ولكن بدرجة أقل ، بدرجة دون درجة الرباط . ذلك ان كلمة الارتباط تعطي معنى الالتزام ، والالتزام يعطي معنى التفصي او بتعبير ادق يعطي فرصة الاختيار في التفصي . فالملتزم أو المرتبط هو الذي ألزم نفسه أو ربطها ، ويكمن في هذا التعبير سهولة التفكك أو التفصي عندما يرغب الملتزم في ذلك . والمرتبط بشيء سواء كان رجلا او امرأة قد يخطر له في أية لحظة ان يلغي ارتباطه او يتخلل عنه دون ان يترتب عليه شيء ، ولذلك فانا افضل استعمال

كلمة الرباط في هذا الموضوع لان الرباط يجعل الطرفين متصلين لا يحق لاحدهما ان يفصل ما دام الرباط قائماً محكماً . ومعنى هذا انه ليس المربوط كالمرتبط ، لان المربوط لا يستطيع ان يتحرر من رباطه الا اذا حرّمته ، او تقطع الرباط ، اما المرتبط فهو يستطيع ان يتخلى عن ارتباطه متى شاء وينطلق دون ان يترتب عليه شيء اللهم الا بعض معان أدبية يكون اثرها فيه بمقدار إحساسه بالمجتمع ، ومدى تقديره للضمير والكرامة والمسئولية عن العهد .

فاذا اضيف الى ذلك الرباط وصف آخر ، وهو كونه مقدساً أو شرعياً ، اصبح امتن من ان ينقطع واثق من ان ينقص . واقدس من ان ينحل للخواطر الطارئة ، والاسباب الواهية ، والعواطف المهتاجة النائرة بمشاكل الحياة اليومية التي تدخل كل بيت ، وتثور في كل أسرة .

وكلمة القداسة حين نستعملها في وصف هذا الرباط فانما نلاحظ انها مكتسبة من وصف القرآن الكريم لهذا الرباط بانه ميثاق غليظ^(١) ، ومن كراهية الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأيّ سلوك يؤدي الى فسخ هذا الرباط . وما دام التنزيل يصفه بأنه ميثاق غليظ ، ويأمر بالمحافظة عليه ، وما دامت السنة حريصة على وضع اسس لاستمراريته ودوامه ، وما دام في الامكان ان يستمر طول الحياة البشرية

(١) سورة النساء : ٢١ .

في الدنيا ، وكذلك يستمر صالحاً للجمع بينهما في الآخرة ،
إذا كتبت لهما السعادة معاً ، فانه ولا شك يصح ان يوصف
بالقداسة .

ان الرباط المقدس جمع بين فتي وفتاة ، لا يمكن ان
يجمع بينهما رباط نظيف غيره ، وجمع بينهما على أسس
نفسية ، وروحية ، ومادية ، واجتماعية ، وتارة حتى سياسية ،
وعلى دعوة وهدى وتوصية من الشارع الحكيم . ان هذا
الرباط ليس من اليسر ولا من السهولة بحيث يسوغ لاي
واحد من الطرفين ان يتخلى عنه ، بل ليس من حق اي واحد
منهما ان يتحلل منه ، لانه كما ذكرت - من قبل - ليس
التراماً من جانب واحد يستطيع ذلك الجانب ان يسحب
الترامه متى شاء ، ولا التراماً بين شخصين في إمكانهما
الاتفاق على الغاء الالتزام في اي حين . ولكن الرباط المقدس
وثاق يربط شخصين بعضهما الى بعض ، ترتب عليه
مسئوليات كثيرة ، هم الاسرة والمجتمع ، والامة والدولة ،
كما تهمهما وتهم اسرتيهما السابقتين . وان كل هذه الخيوط
التي تكون منها ذلك الرباط انما نسجتها الشريعة واحكمت
ابرامها واوصت بالمحافظة عليها . فلا يمكن ان يفصل
الشخصان الا اذا انقطع ذلك الرباط ، او نهراً حتى اصبح
لا يصلح للاتفاق بينهما . وهذه الصورة تعني ان الانفصال
لم يكن باختيارهما ، واختيار احدهما ، وانما كان اضطرارياً ،

لأن حياة بشرية على وضع معين ، لا يمكن ان تستقر او تستمر ، او ان استمرارها على ذلك الوضع ينتج عنه هدم لتلك الحياة نفسها ، واضرار اكبر تلحق الافراد والمجتمع ، بمعنى ان الخيوط التي يتكون منها الرباط قد تقطعت جميعاً ، وان الاسباب التي جمعت بين رجل وامرأة حتى كونت منهما لبنة واحدة في بناء المجتمع ، قد زالت واصبحت لا وجود لها ، فانقسم الرباط بالضرورة ، وصار ذلك الثنائي الذي كان بسبب الرباط المقدس يكون حياة بشرية واحدة ، يضمهما سكن واحد ، وتغذيها مائدة واحدة ، ويجمعهما فراش واحد عند النوم ، وتنفصل منهما معاً اجزاء تتحد فتكون بشراً ثالثاً هو الطفل . صار — ذلك الثنائي الذي اتحد معنوياً في حياته ومادياً ايضاً في ابنائه — وقد انفصل وحرّم على الواحد منهما ان يخلو بالثاني — بعد ان كانا يتامان على فراش واحد — انه لا يحق لاي رجل او اية امرأة لاي بادرة تبذر لاحدهما ان يأتي الى الثاني فيعرض عليه الانقسام او الطلاق ولا ان ينفذ ذلك بمفرده دون الرجوع الى صاحبه والى ملاحظة الاعتبارات السابقة جميعاً .

ان الرباط المقدس الذي تجمعت على تكوين خيوطه ، اسباب نفسية ، واسباب روحية ، واسباب اجتماعية ، واسباب مادية ، واحكمت الشريعة رباط كل ذلك . لا يحق لواحد من الطرفين ان يتحلل منه . لتقطع بعض تلك الاسباب دون الباقي ، لا يحق الانقسام لاحدهما عن صاحبه ، الا

عندما تتحطم جميع تلك الاسباب ، ولا يوجد اي احتمال
لاصلاحها ، فيكون الرباط بذلك كانه غير موجود ،
وينفصل الاثنان بعضهما عن بعض بحكم الضرورة .
من الاسباب التي ينشئ عليها الرباط المقدس - مثلاً -
السبب النفسي وهو ما يشعران به من الاطمئنان والاستقرار
والسكون والركون الى الكنّ وما الى ذلك . فاذا فرض ان
خللاً ما اصاب هذا السبب عند احدهما فلم يعد على ما كان
عليه . واصبح الرجل لا يجد الاستقرار النفسي مع صاحبتة ،
او اصبحت المرأة لا تجد ذلك مع صاحبها - لان الواناً اخرى
من الحياة قد عرضت لاحدهما - مع بقاء الاسباب الاخرى
على حالها . فهل تكفي هذه الحالة للتفصي من الرباط المقدس ؟
وهل يحق لمن أحسّ ذلك منهما ان يقطع الرباط وينطلق ؟
لا شك ان الجواب بالنفي لان هذه الحالة القلقة التي اثارها
دوافع خارجية لا تلبث ان تزول ، ولان الرباط لا يزال من
المتانة بحيث يربط احدهما الى الآخر بقوة ، وارتقاء خيط
من خيوطه ، او حتى تقطعه ، لا يعني تقطع الرباط كله .
وما قيل عن هذا السبب يقال عن بقية الاسباب ، فاذا
تقطعت جميع الاسباب فان الرباط حيث يكون مقطوعاً ،
ويحق لكل واحد منهما الانطلاق ، ويجب ان نلاحظ هنا
انه لا يحق لاي واحد من الطرفين ان يسعى عمداً الى تقطيع
احد الاسباب او كل الاسباب للوصول الى نتيجة التفصي .
ان التقطع الذي نتحدث عنه ، انما هو الذي يقع مع حرص

الطرفين على عدم وقوعه ، ومع حرصهما على سلامة الرباط
ومع محاولتهما ابقاءه على حاله ، ومع شدة كراهيتهما
للتائج التي تنبئ على تقطعه والآثار السيئة التي تنجم عن ذلك.
ويتضح من هذا : ان تضعف الجانب المادي في هذا
الرباط ، او فتور وقدة الحب وانتقالها الى مظاهر المودة
والصحبة بطول العشرة والالفة ، او عدم حصول الغرض
الاجتماعي من وجود اطفال يرحون في هذه الاسرة
لان احدهما لم تؤهله الفطرة للانجاب ، او غير ذلك ،
ان هذه الحالات كلها او بعضها ليست اسباباً كافية
للانفصال وتقطع الرباط المقدس ، واحسب انه لا يحق
لاحدهما ان يأتي الى الآخر يعلن اليه انه يريد ان ينهي بينهما
هذا اللقاء الذي كونه الرباط المقدس ، لان بعض جوانبه
لم تتحد ، او ان بعض نتائجها لم تصح كما كان يقدر ويتوقع ،
كأن يجد قلبه قد علق بحب شخص آخر ، او انه لا يجد
الاستقرار الذي كان يحلم به ، او انه يفقد المشاركة الوجدانية
او انه اكتشف ان عقليتهما مختلف ، او انه لم يتبع عن
لقاتهما وجود اطفال يملأون فراغ الحياة ، او ان الموارد
المادية التي يعيشان عليها ، لا توفر لهما جميع المطالب ، ولا
تحقق لهما كل الرغبات .

والمقصود من هذا كله ان الرباط المقدس اذا تم بين
فتى وفتاة ، بحسب المعاني الزاخرة التي ارادتها شريعة الله ،
وانبنى على الاسس الحكيمة التي هدت اليها . اصبح اوثق

من ان يتقطع فلا داعي لزيادة توثيقه بالوسائل المادية البشرية
القرية . فاذا تقطع على النمط الذي أسبغته شريعة الله فلا
داعي لمواصلة ربطه ، ومحاولة ابقائه بالوسائل المادية البشرية
ايضاً ، فانها لن تبلغ من ذلك هداها ، ولن تحقق مصلحة .

كَيْفَ يَنْعَقِدُ الرِّبَاطُ الْمُقَدَّسُ

لكي ينعقد الرباط المقدس يجب ان تتم عدة امور :

- ١ - رغبة الرجل وطلبه
- ٢ - رغبة المرأة وموافقتها
- ٣ - موافقة المجتمع وذلك بموافقة ولي المرأة وحضور الشهود والمأذون .
- ٤ - الربط بين الطرفين بالصيغة الروحية زيادة على إثبات الاتفاقات المادية التي تشبه بقية العقود .
- ٥ - اعلان هذا الرباط في المجتمع حتى يكتسب حرمة وقداسته في نظر الناس وحتى لا يعتبر عقداً فردياً بين شخصين كما هو الحال في سائر العقود .
- ٦ - ان لا يحول دون اتمامه مانع شرعي .

قلت في الفصل السابق ان الرباط المقدس ، ليس بمعنى الارتباط او الالتزام ، ولذلك فان الشارع الحكيم لم ينطه فقط بطرفين مرتبطين او ملتزمين يصح لهما التفصي منه متى شاء أحدهما أو كلاهما ذلك ، دون مبررات كافية . وانما

جعل هيئة أخرى لا يقل عدد افرادها عن اربعة : هم الولي والشهود والمأذون ، هي التي تتولى احكام العقد بينهما ، وجعل مادة الرباط تتكون من جانبين : جانب مادي وجانب روحي ومعنى هذا انه اذا توافرت الرغبة والرضا والموافقة بين طرفين رجل وامرأة ، فليس في امكانهما ان يعقدا وحدهما ذلك الرباط وانما عليهما ان يستكملا بقية الشروط ، وان يلجأا إلى الولي والشهود والمأذون ليتم الرباط على الاساس السابق . وكما لم يكن من حقهما وحدهما ان يحكما ذلك الرباط ، فليس من حقهما كذلك ان يفصماه وحدهما . وانه ينبغي ان تكون هنالك يدٌ أخرى تتحرى في الموضوع ، وتوقع ما يجب ان يوقع في هذا المجال : ان الرجل لم يكن هو وحده الذي ربط العقد ، فليس من حقه وحده ان يقطعه ، وان المرأة ليست هي وحدها التي ربطت هذا العقد . فليس من حقها وحدها ان تفصمه ، وان يد المجتمع التي باشرت الرباط بجانيه المادي والروحي ، ليست هي وحدها التي احكمت ذلك الرباط ، ولذلك فليس من حقها وحدها ان تحله .

ان الرباط بعد ان تم على الصورة الصحيحة تغلغت فيه وشائج اخرى زادت من استحكامه وذلك كتكوين أسرة جديدة في المجتمع وإحداث قرابات لم تكن موجودة وإنجاب أطفال لهم حقوق على المنجيين وعلى المجتمع لا بد من رعاية هذا كله .

فكيف اذن يمكن ان ينحل ذلك الرباط ؟

ان الرباط المقدس عندما يعقد انما يعقد على نية واعتبار انه رباط غير قابل للحل وهو مستمر مدى الحياة الدنيا ومدى الحياة الاخرى ، إلا اذا تقطعت جميع أسبابه ، ولم تستطع جميع الاطراف ان تجعله مستمر . انه ليس من حق الزوج او الزوجة لاي سبب ان يطلب أحدهم الطلاق اي حل الرباط المقدس ، بل يجب ان يدرس الموضوع بهدوء ، وان يناقش الدواعي والاسباب مع رفيقه في ذلك مناقشة منطقية معقولة ، وان يشركا في المناقشة من يثقان في نصحه ، ورجاحة عقله ، وحرصه على مصلحتهما ، وتقديره السليم للظروف والملابسات الاجتماعية ، من الاقارب والاصدقاء^(١) فاذا اتفق الجميع ان ذلك الرباط لا يمكن ان يستمر ، وانه يجب الانفصام بينهما ، فانه حينئذ يجري الانفصام في هدوء ورضا واحسان ومعروف ، دون ان يترك وراءه ركائماً من الأحقاد والخصومات والمكائد بعد سيل دافق من المحبة والعطف والحنان والتعاون . وأحب في آخر هذا الفصل ان اشير الى ان الرباط المقدس يختلف عن بقية الاتفاقات والعقود باسس جوهرية . مثال ذلك انه لو اتفق شخصان ولو كانا رجلاً وامراًة على عملية بيع وشراء دون ان يشهدا على ذلك

(١) وهذا ما يأمر به الله سبحانه في الآية الكريمة : « فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً » .
النساء : ٣٥

أحداً لَمْ لهما ذلك دون حرج ولكن هذه الطريقة لا يتم بها
الرباط المقدس ولا يصح ابداً ان يتفق رجل وامرأة على
الزواج ثم يتفدان ذلك بمفردهما . هذا فارق واضح ومهم .
المثال الثاني ان الطرفين اللذين يتعاقدان على عملية بيع وشراء
مثلاً لا يجب عليهما ولا يسن لهما اعلان ذلك وهذا الاعلان
ضروري في الرباط المقدس . الصورة الثالثة ان الجوا الذي
يتم فيه الرباط المقدس يكون مشبعاً بالمعاني الروحية الزاخرة
ويجب ان يقوم المأذون بخطبة تشتمل ما امكن على المعاني
السامية للرباط المقدس وتدعو جميع الاطراف الى مراعاة
احكام الله في هذا الوضع الجديد الذي انبنى على كتاب الله
عز وجل وسنة رسوله عليه السلام لبناء لبنة اخرى في مجتمع
مسلم ترجى له القوة والامتداد .

الأسس التي يبنى عليها الرباط المقدس

لا شك اننا نناقش هذا الموضوع من جانب النظرة الاسلامية ، فنحن امة مسلمة قبل كل شيء وحريصة على اسلامها قبل كل شيء وبعد كل شيء ، والميزان الذي نزن به اعمالنا انما هو ميزان الاسلام ليس غيره ولذلك فعندما نبحث عن الاسس السليمة التي يبنى عليها الرباط المقدس ، رباط الزواج فانما نبحث عن تلك الاسس التي وضعها الاسلام في الاعتبار بالدرجة الاولى ولعل اهم الاسس التي ينبغي ان تتوافر في الطرفين هي ما يلي :

١ - التكافؤ بين الرجل والمرأة : ولا شك ان كل مسلم كفؤ لكل مسلمة ، وكل مسلمة كفؤ لكل مسلم . وانما ينعدم التكافؤ في بعض الجوانب التي تحول دون القصد من عملية الزواج كالجنون والاصابة بامراض تتعطل معها حكمة الزواج . فان المجانين والمصابين بامراض وعاهات تحول دون بلوغ الغاية من قصد الزواج ليسوا اكفاء للعقلاء السالمين وانما ذكرت هذا لاشير الى ان بعض الفقهاء يذكر هذه

المسائل في العيوب اما في الكفاءة فهو ينظر الى الطبقات الاجتماعية والى الحرف والاعمال التي يعيش عليها الناس ، والحق ان هذه الاعتبارات لا دخل لها في مراعاة التكافؤ في الزواج فلا يمنع الزواج بين الاغنياء والفقراء ولا بين اشهر الاسر ومغمورها ولا بين من يغزل الحرير ومن يكنس الشارع ولا بين الوزير والنافخ على الكبر . فان الاعمال كلها شريفة ما دامت متفقة مع شريعة الله . ونظرة المجتمع نفسها الى الاعمال والحرف تختلف من يوم الى يوم ومن مكان الى مكان والضابط العام لمثل هذا ان اي عمل يزاوله الانسان ويعيش به هو شريف ما دام لا يتعارض مع دين الله . وصاحبه كفو لأي شخص آخر مهما كان عمله ما دام لا يتعارض مع دين الله .

او كما قال صلى الله عليه وسلم
« المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم ادناهم ،
وهم يد على من سواهم »
وقد اختفى من المجتمع اليوم عنصر كان له حساب في كتب الفقه وهو العبد فلم يبق هناك عبيد ، اما الموالي فهم ولا شك احرار وهم اكفاء في الناحية الشرعية ، احسب ان هذا واضح لا يحتاج الى مزيد بيان ، وان كانت اقلام بعض الفقهاء تناولتهم حين تناولت اصحاب بعض الحرف فانزلتهم درجة عما ينبغي ان يكونوا عليه والحق انه ليس هناك درجة بين الحرية والعبودية فالحر كفو للحر والعبد كفو للعبد

ولا منزلة بين هذا في احكام الاسلام .

٢ - الخلق والسلوك ، ومراعاة هذا الجانب نقطة هامة في تكوين الاسرة الجديدة ، ولا شك ان الاسلام راعى هذا مراعاة كاملة حتى انه حرم الزواج في بعض الاحيان ممن ليس له الخلق العاصم في ارتكاب المعصية ، فقد حرم نكاح الزانية وحرم نكاح الزاني عن المومنين ولو ادعى اولئك الزناة الاسلام وحافظوا على مظاهره . فلاشتمار بالفسق والمعصية سبب كاف لعدم ربط عملية الزواج سواء كان المشتهر بذلك رجلاً او امرأة . والاشتمار بسوء الخلق او قلة الحياء او سوء السمعة ، او شراسة الطبع ، او الاستهتار وعدم المبالاة او غيرها من التصرفات الحمقاء والسلوك السيئ اسباب كافية لان يرد بها طالب الزواج سواء كان رجلاً او امرأة . « اياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء . » الفتاة الجميلة تنشأ في بيت او بيئة لا تعرف كيف تربى بناتها فتعود على بعض الاخلاق السيئة كقلة الحياء او كثرة الشغب او الادلال المفرط بالجمل او حب التبرج او غير ذلك مما يعيب المرأة .

٣ - اتحاد الدين بان يكونا مسلمين . وهذا شرط اساسي وضروري لان أول ما ينبنى عليه الرباط المقدس هو المودة والمحبة ، وكيف يستطيع المسلم او المسلمة ان يجمع بين محبة الله ومحبة عدو الله ، ان القلب العاقل بالايمان لا يبقى فيه مكان لمن يكفر بالله . وقد كتب كاتبون وتحدث متحدثون

في القديم والحديث عن الزواج بمن يطلقون اليوم عليهم اسم
 اهل الكتاب فاجازه بعض مطلقاً ، واشترط له بعضهم ان
 يكونوا تحت حكم المسلمين ورقابتهم ومنعه بعضهم مطلقاً.
 ومن هؤلاء جماعة من فقهاء الصحابة وتسلسل ذلك إلى اليوم.
 والحق الذي تفرضه عزة الاسلام في الوقت الحاضر هو
 المنع مطلقاً فليس بين اهل الكتاب اليوم وغيرهم من المشركين
 فرق ، فهم جميعاً اعداء للاسلام يحادون الله ورسوله . وقد
 يقول قائل انه يوجد اهل كتاب خاضعين لدول اسلامية او
 عربية فهل يعتبرون هم ايضاً محادين لله ورسوله . والجواب
 بدون تحفظ نعم ! والى نعم ! ولقد يكون كيدهم اكبر من
 كيد غيرهم لانهم يقومون في تلك الدولة بعمل الطابور
 الخامس ويستمدون كيدهم ونشاطهم واعتزازهم ، ويستندون
 على دول اجنبية ترى انها مسئولة امام الله على تنصير وتهويد
 البشرية والقضاء على غيرها من الديانات لا سيما الاسلام ، ثم
 ان تلك الدول العربية والاسلامية من الضعف والمزال بحيث
 لا تستطيع لهم مراقبة ، وهي مع ذلك بعيدة عن العمل باحكام
 الاسلام انها ترغم لنفسها انها دولة مسلمة ولكنها في واد
 بعيد عن الاسلام وهي اجراً على تغيير احكام الله لارضاء
 البشر واشد خشية للبشر من ان تطبق عليهم احكام الله .
 ولا شك ان غولاً فاغر القم يترصدها لو انها طبقت احكام ،
 الاسلام ذلك الغول هو ان يقال عنها انها غير متحضرة ، وانها
 تطبق في القرن العشرين احكاماً جاءت في القرن الخامس ،

فما قيمة هذه الدول الهزيلة في رقابتها على الذمين من اهل الكتاب او على ابناءها من المسلمين انفسهم انها اضعف من ان تجري احكامها على المسلمين فهل يطمع منها ان تراقب غيرهم من اهل الكتاب وهم اشد وقاحة وصلفاً واكثر اعتزازاً وتعاوناً بالدول المحاربة للاسلام سرّاً وعلانية بل انهم وهم الاقليات القليلة في بلاد عربية واسلامية كثيراً ما يشيرون لدولهم تلك ويشعرونها بان لهم حماة يستطيعون ان يعتمدوا عليهم ، ولقد تجددت لتلك الشرازم القليلة من التأثير في السياسة والحكم ما لا تجده للعدد الكبير ولصاحب الكرسي الوثير الشهير .

واستطيع ان اضرب مثلاً بسيطاً يعرفه كل الناس . هذا لبنان وهو دولة عربية صغيرة ، في وسط الدول العربية قد تكون من حيث القوة العسكرية اضعفها او من اضعفها . بعض سكانها مسلمون وبعضهم مسيحيون . لم تتجرأ أية دولة اخرى عربية ان تدعو في لبنان الى الاسلام وان تبشر به ، ولم تستطع اية مؤسسة اسلامية ان تدعو الى الاسلام في لبنان وتنادي به ، ولكن المسيحية في لبنان وبكل وقاحة وصفاقة تعمل جاهدة للتبشير بالمسيحية في جميع البلاد العربية . وقد بلغت بها الصفاقة والوقاحة ان تباشر مثل هذا العمل حتى في ليبيا التي ليس من اهلها مسيحي واحد والتي خشيت وضعها هذا واحترمته حتى الدول المسيحية التي استعمرتها من قبل ، فحاولت كنائس لبنان ان تبشر فيها بالمسيحية وربما لا تزال

نشراتها ودعاويها تصل الى بعض الايدي، والتجربة المريرة التي يمر بها بعض الشباب الذين غلبتهم نزوات في حالة ضعف بشري فتزوجوا منهن وأتوا بهن الى بلدهم فجعلنا نحكم بالمنع. ونحكم بالمنع. ولاحظ* اولئك الشباب تجد ان حياتهم قد اقلبت من وضع عربي مسلم الى وضع اجنبي ليس له لون. وانك لترى ذلك الشاب وهو يسير الى جنبها شاعراً بانها اعظم منه وأقوى، وانك لترى الطفل او الطفلة تسير بين ام فرنسية او ايطالية او المانية او غيرها واب عربي لبي يزعم انه مسلم وذلك الطفل او تلك الطفلة ترطن بلغة امها في اعتزاز وتقدير والاب المسكين يبصص لها في حالة تدعو الى الرثاء والاشفاق. ويكفي سبب للمنع فيما ارى ان تجد بيتاً يملكه لبي من آباء لبيين يحري فيه الحديث باللغة الاجنبية لان السيدة الكتابية المحترمة لا تتنازل عن لغة قومها. ولا تعتر بغيرهم وعلى هذا السيد ان يرضى بذلك ويخضع. وهو يرضى بذلك ويخضع ولا يشرف المجتمع المسلم ابداً ان يكون فيه عبيد شهوات يتنازلون عن عزتهم وكرامتهم ولو حتى لامرأة مسلمة. ولا يشرف المجتمع المسلم ابداً ان يكون فيه إماء شهوات يتنازلن عن عزتهن وكرامتهن التي حفظها لمن الاسلام حتى لرجل مسلم. فكيف اذا كان اولئك غير مسلمين.

هذه اهم الجوانب التي يأمر الاسلام بمراعاتها عندما يحري التفكير بين فتي وفناة في تكوين الرباط المقدس الذي

تبدأ جذوره السليمة من تفتح الحياة في كيان الشباب ،
وتمتد الى ما لا نهاية ، تمتد طول الحياة البشرية في هذه الدنيا
وتستمر الى الابد في الحياة الاخرى لمن رزقا السعادة فيها .
ومن هذه الزاوية ايضاً يختلف الرباط المقدس عن جميع
العقود والارتباطات لانها جميعاً لا تمتد - مهما طال بها
الامتداد - اكثر من حياة بشرية فردية . اما عقد هذا الرباط
فيتمتد طول الحياة البشرية ثم يكتسب الخلود في دار الخلود .

أُسُسُ اخْتِيَارِ الزَّوْجِ

لا شك ان الفتي عندما يريد الزواج يفكر في الصفات التي يراها ضرورية لاختيار فتاة بعينها . وكذلك الفتاة عندما تريد الزواج ولا شك انها تفكر في الصفات التي تعتقد انها ضرورية لاختيار فتي بعينه .

وقد اشار الاسلام الى ان اهم الصفات التي يود الفتيان وجودها فيمن يختارونهن لا تخرج عن اربع صفات : هي الحسب والمال والجمال والدين . ولا شك ان اجتماع هذه المزايا الأربع في امرأة واحدة قريب من المستحيل اذا لم يكن مستحيلاً ، فلا مطمع فيه لكل الناس . فاذا لاحظ الفتي وجود بعض هذه المزايا في اختياره ملاحظة عادية فلا حرج عليه ، اما اذا كان اختياره لاحدى هذه الصفات مبنياً على نية أو إرادة استغلالها فان في ذلك الحرج كل الحرج . وتترتب على ذلك نتائج عكسية وتجارب الحياة عرضت علينا نماذج كثيرة في ذلك .

فالرجل الذي يختار المرأة لحسبها ، ليرتفع بها فقط ، ويعظم قدره في الناس لعظم قدر اصهاره لا يزيده ذلك الا

ذلة وضعة . لأن الارتفاع إنما يكون بالدين والخلق والعمل ،
ومن لم ترفعه أعماله لم ترفعه أية رافعة في الدنيا ولو تعاونت
على صنعها له أضخم مصانع روسيا وأمريكا .

ولا شك أن أول من يحس بضعته وحقارته هي امرأته
فينحدر عن المنزلة التي كانت له عندها وتعامله بما يستحقه
وبعد زوجته يشعر اصهاره بتلك النفس الحقيمة التي تريد أن
ترفع باسمهم وتستغل التصاقها بهم لتعظم في عيون الناس
فيعاملونه معاملة اللصيق الحقير ولا شك أنه على استعداد
لتقبل جميع ما يأتيه منهم من أهانات . ما دام متشبهاً بحسبهم
معتزاً بهم . وكتب الأدب والتاريخ ملأى بالنواذر والقصص
في هذا الموضوع .

وقد سئل رجل عن نسبه فقال : أن اخوالي بنو فلان
فقليل له الناس يتسبون طولاً وانت تتسبب عرضاً . وقيل
لقتي من انت ؟ فقال : أنا صهر فلان . فقليل له : نعم القتي
انت ! لو كان لك اب .

وأما الرجل الذي يتزوج المرأة لمالها . يتزوجها وهو
ينوي أن يستغلها ويستغلها ، ويستمتع بمالها فهو حري أن
لا يزيده الله إلا فقراً وأفلاساً . أن الرجل وهو يفكر في بناء
بيت الأسرة واختيار المرأة التي تصلح لسكنائه يجب أن يرتفع
عن المادية ويجب أن يضع في حسابه أنه هو القوام عليها وعليه
توفير وسائل الحياة الكريمة لها وليس له أن يعتمد عليها في
ذلك إلا بمقدار ما تسمح به المساعدة في العمل ، أما إذا

تحول الرجل الى طماع استغلالي لم يرغب في المرأة الا فيما يحصل عليه من اموال فان النتائج توشك ان تكون عكسية ، وسرعان ما تتدرك المرأة ان الرجل لم يتزوجها هي وانما تزوج مالها فتحتره بذلك وتمنع عنه مالها ، ويزداد هو الحاحاً وتحايلاً وتزداد هي تمنعاً وبعداً فاما ان تطلب منه الفراق ويكون ذلك ابلغ اهانة توجهها اليه ولا شك انه بعد ذلك سينال من اهانات المجتمع اضعاف ذلك . واما ان تستمسك به محتفظة بمالها ولا تعطيه منه الا النزر لانها تعلم انه عبد للمال فلو نقد منها المال لتركها ولذلك فهي تمسكه بامساكها المال عنه واحتفاظها به لنفسها معاملة لاياه بسياسة . « جوع كلبك يتبعك »

والمسلم الكريم ينأى عن مثل هذه المواقف والاحوال التي تنقصها العزة والشهامة والمروءة ولا يسمح لنفسه ان يقف موقفاً فيه اذلال مهما كان الباعث على الاذلال .

واما الرجل الذي يتزوج المرأة لجمالها ، وجمالها فقط ! فهو رجل سيطرت عليه وغلبته الشهوة ، وغلبة الشهوة سرعان ما تبرد حرارتها عندما يتم التملك والحصول فينعدم الدافع الاول ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اللقاء مع امرأة مزيتها الوحيدة هي الجمال مآله الى التصدع والفراق . ذلك ان الجمال اذا لم يكن له حافظ من الخلق والدين يدعو صاحبه - ولا سيما اذا كان مزيتها الوحيدة - الى المبالغة في الادلال به واطهاره ، والى اغراء العيون به والتحدث عنه ، ولا شك

ان هذا التصرف مهما كان نظيفاً يثير الغيرة في قلب الزوج ،
ويؤدي الخوف والشك ، ويدعو الى كثرة الملاحظة والمراقبة
والتتبع ، فيكون ذلك مظهراً من عدم الثقة اولاً ثم سبباً في
الشقاق والخلاف وغالباً ما ينتهي الى احد امرين اما الى شجار
مستمر ، وخصام متواصل يجعل الحياة مرة والعشرة كريهة ،
اذا كانت المرأة لينة ضعيفة . واما اذا كانت المرأة عنيدة
وغالباً ما يكون هذا النوع من النساء كذلك الى ان يدفعها موقفه
معها الى التحدي والانطلاق وهي بذلك تحقق لنفسها رغبتين
احدهما الانتقام من ذلك الرجل الذي يريد ان يحبسها -
حسب تصورها - في قمتهم ليستمتع بجمالها وحده ، وثانيتها
وجود عيون تلتهم جمالها في شغف ، وشفاه تسكب في اذنها
غزلاً رقيقاً يطري جمالها ويصور لها تفوقها على النساء ويشبع
فيها رغبتها الى مزيد من الاطراء والمدح .

ثم ان المرأة التي تشتهر بالجمال الطاغى اذا لم تطغ هي
به فانه حري ان يحرك عليها الالسة والشفاه اذا كانت
محتجبة ، ويطلق عليها العيون والظنون ، اذا كانت سافرة .
ومهما كانت هذه الاشياء باطلة وكاذبة فلانها ولا شك تحدث
آثارها في نفس الزوج من سلوكه ثم في حياتهما المشتركة فيحيا
معها فريسة للوساوس والشكوك وتحيا معه فريسة للغيرة
وعدم الثقة وما يستتبعه من معاملات فيها كثير من العنت
والارهاق .

واما الرجل الذي يتزوج المرأة لدينها فقد وفق في

الاختيار ذلك انه برهن قبل كل شيء على صفة هامة من صفات الرجولة وهي الاعتماد على النفس في طريق الحياة الشاق الطويل وعلى مساعدة الزوجة بمسلكها معه في نفس الطريق الطويل فلم يكن استغلالياً يطلب منها الجاه او المال فقط، ولم يكن شهوانياً يطلب منها المتعة فقط، وانما كان رجلاً يريد رفيقة امينة في مسيرة طويلة شاقة متقلبة، المطلوب فيها الصبر والاحتمال والتعاون والثبات عن تقلب الظروف . ولا تتوافر هذه الصفات الا في ذات الدين فاذا وجدت بعض المزايا الاخرى مع هذه المزية فذلك افضل ولا تسوء واذا لم توجد فان الدين مزية كافية، ذلك ان طهارة الروح واشراقه الايمان واستقامة السلوك تضيفي على صاحبتهما من الوان الجمال ما لا تضفيه كل مساحيق الدنيا ووسائلها للتجميل، والمرأة التي لا يشرق في قلبها الايمان فتطهر منها الروح ويستقيم السلوك هي دمية او تمثال مهما روعي فيها من الجمال، فانما تنقصها الحياة ولا يوجد رجل عاقل يرغب ان يتزوج دمية او تمثالا . وقد نصح الاسلام بالزواج من ذات الدين اي باعتبار الدين شرطاً اساسياً، واذا وجد معه بعض او كل المزايا الاخرى كان ذلك ادنى الى تحقيق الاتجاه العام في طلبات الزواج والا فان الدين يغني عن المال بالقناعة وعن الاعتزاز بالحسب بالاعتزاز بالله وعن الجمال الظاهري بالجمال الباطني . وهكذا فان كل واحدة من المزايا الاولى اذا روعيت منفردة ربما اتت بنتيجة عكسية وكانت سبباً لتقطيع الرباط

وهدم البيت ، اما اذا وجد معها الدين فانها تكون اصدق في الاختيار واثبت على الايام ، واقرب الى تحقيق المقصود من عملية الزواج وادل على التوفيق فيه ، ثم ان الدين عند المرأة عاصم لها من الطغيان بالجمال ، او اذلالها لزوجها بالحسب او المال . اما الاسس التي ينبغي للمرأة ان تراعيها فهي الدين والخلق ، وقد نصح الاسلام المرأة اذا كانت راغبة في الزواج وطلبها صاحب دين وخلق ان لا تردّه ، لان المزايا الاخرى بعد الدين والخلق كلها في الدرجة الثانية من الاعتبار . ويهمني في نهاية هذا الفصل ان اشير اشارة موجزة الى فرق بسيط يفهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ما يجب ان يراعيه الرجل في المرأة وما يجب ان تراعيه المرأة في الرجل .

قال عليه السلام وهو يخاطب الرجل « عليك بذات الدين » ، وقال وهو يخاطب المرأة عن طريق وليها : اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . « والفرق بين الموقفين واضح فبينما يطلب من المرأة ان تكون على دين قوم فقط لتكون زوجة صالحة يطلب من الرجل ان يكون ذا دين قوم وخلق مستقيم ليكون زوجاً صالحاً . وهذا التفريق او هذا الاعتبار منطقي طبيعي ، ذلك ان الزوجة لا يطلب منها الا ان تكون عارفة بالحقوق الواجبة قائمة بها بحبة صادقة عفيفة أمينة وهي صفات لازمة لها لا تتعدهاها . فاذا كانت متدينة حريصة على دينها لم يحمد الزوج ما يشكو منها لانها

تعطيه حقوقه وحقوق بيته وترعى حاله وتصونه الى آخر ما هنالك مما يوجه عليها الدين، وليس مطلوباً منها اي تصرف لا يوجه عليها الدين. اما الرجل بالاضافة الى الدين وما يوجه عليه فان علاقته بالمرأة تتطلب سلوكاً او تصرفاً فوق ما يأمر به الدين لان الدين يفرض الحقوق ولكن الخلق يدعو الى الاحسان. ان الدين يضع حدوداً لمعاملة الزوجة لا يصح التفريط فيها ولكن الزيادة على تلك الحقوق تقتضيها مكارم الاخلاق وشهامة الرجولة. فقد يقتصر الرجل على اداء الحقوق كما اوجبهها الدين وهو بذلك مؤد لما عليه ولا يطالب شرعاً بغير ذلك ولكن الاخلاق الكريمة تدعوه الى كثير من الاحسان ليس مطلوباً منه عادة.

وفي مجال النفقة، وفي مجال اللباس، وفي مجال الزينة، قد يحدد الدين حدوداً لا بد منها وهي ما لا تستقيم الحياة الا بها وعندما يلتزم الرجل تلك الحدود فانه من الناحية الدينية لا يطالب بالزيادة ولا يلزم بها ولكنه اذا كان ذا خلق كريم فان تصرفه لا يقتصر على ما يوجهه الدين في اعطاء الحقوق وانما يزيد عليه بحسب امكانياته وذوقه فاذا كان المطلوب من الرجل ان تكون نفقته على اهله شرعاً في مستوى معين وان يكون لباسها محدداً وان تكون وسائل الزينة بمقادير محسوبة فان الخلق الكريم قد يضاعف تلك المقادير جميعاً اضعافاً كثيرة فبدل ان يلبسها ثوبين في السنة مثلاً يلبسها عشرة وبدل ان يقتصر طعامها على الشعير والزيت يوفر لها

من الغذاء ما يثير الشهية ويكسب الصحة ويقوي به البدن ويستمر به الجمال وكذلك ما يتعلق بوسائل الزينة ثم بالمعاملات مع جيرانها وقرائنها ومن يزورها بحيث تستطيع ان تتعامل معهم تعاملًا يحفظ لها شرفها وكرامتها ويبيح لها التصرف في ماله حتى تستطيع ان تنفق منه متى شاءت الى آخر ذلك من التصرفات التي يسمح بها الخلق الكريم ويقوم بها ويؤديها ولكن الدين لا يفرضها ولا يلزم بها وان كان يدعو اليها دعوته الى مكارم الاخلاق جميعاً .

وفي تعامله معها في النطاق الضيق ايضاً مجال فسيح بين الغرض الذي يوجهه الدين ولا تقوم الحياة الزوجية الا به وبين السماحة التي تقتضيها مكارم الاخلاق وحسن المعاشرة . فاذا انتقلنا من حالة العشرة والوفاق الى حالة الانفصال والفراق فان الاحتياج الى الخلق الكريم والطبع السمع ، ومسالك الشهامة والرجولة . اشد والزم . وخلاصة هذه الملاحظة السيرة انه يكفي ان تكون المرأة ذات دين صحيح لكي تكون زوجة سالحة ، اما الرجل فانه لا يكون زوجاً صالحاً حتى يكون ذا دين صحيح وخلق قويم ، فالدين الصحيح في الرجل والمرأة يجعلهما يقومان بواجباتهما ولا يفرطان في شيء من الحقوق ويطلب الى الرجل بالاضافة الى ذلك ان يكون ذا خلق حسن ليضيف الى اداء الواجب مرتبة الاحسان وهي لا شك مرتبة فوق الواجب ومطلوبة من الرجل لانه يملكها في كل الاحيان اما المرأة فانها لا تملك الاحسان الا في احوال قليلة فلم يطلب منها ولم يجعل ضمن الاسس التي تراعى لاختيارها في بناء الزوجية السعيد .

الصَّدَاقُ أَوَّلُ الْمَهْرِ

لقد اشترط الاسلام للزواج ، او لابرام الرباط المقدس — كما اخترنا ان نعتبره — شرطاً مادياً لا يحل ولا يتم ذلك الرباط بدونه .

ويتلخص هذا الشرط في ان يتفق الرجل والمرأة او من تؤكله على مبلغ من المال يمنحه الرجل للمرأة مقابل « حلية استمتاعهما ببعضهما » ولا يحل ولا يجوز بدون ذلك ، وقد سُمِّيَ ذلك المبلغ صداقاً ومهرأ . ولم يحدد الشارع نوعه ولا كميته بل ترك ذلك للطرفين يحدّدانه ويتفقان عليه حسب الظروف والاحوال ، وحسب تغير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان .

والقرآن الكريم قد سمى ما يدفعه الرجل الى المرأة — مقابل انعقاد الرباط المقدس وحلية اي استمتاع — حيناً صدقة وحيناً أجراً .

فقد جاء في القرآن الكريم ما يلي :

« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » (النساء : ٤)
« وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين
غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن
فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة
إن الله كان عليماً حكيماً . » (النساء : ٢٤) فانكحوهن
بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف ، محصنات غير
مسافحات ، ولا متخذات اخدان . » (النساء : ٢٥)
« ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتينوهن أجورهن . »
(المتحنة : ١٠)

وقد جاء في السنة المطهرة ما يلي :

« خير الصداق أيسره »

« خير نساء أمتي أصبحهن وجها وأقلهن مهراً »
« أيسر رجل تزوج امرأة ينوي أن لا يعطيها من صداقها
شيئاً مات يوم يموت وهو زان . »

فانت ترى ان القرآن الكريم سمى ذلك المبلغ من المال
« صدقة » وسماه « أجراً » وان السنة المطهرة سمته
صداقاً وسمته مهراً .

وهذا الكلمات كلها تدل على مدلول واحد . ولعل
القارئ يلاحظ ان القرآن الكريم عندما يستعمل كلمة
« الأجر » يقيد بها بالاحصان ، ويباعدها عن السفاح واتخاذ
الأخدان « محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان . »
« محصنين غير مسافحين . » حتى ينتفي التفكير الآثم اصلاً

من ذهن القارىء الذي قد يثور في ذهنه ان دفع الأجر أو بذل المال يكفي وحده لاستحلال القروج ، وحتى تنقلع الاساليب التي تنجيء بها الانحرافات من جذورنا فلا يبقى لها اثر في المجتمع المسلم ، المجتمع التنظيف الذي ينبت على الحصانة والعفاف .

وواضح من هذا ان اللقاء اذا تم بين رجل وامرأة دون صداق فهو لقاء آثم وان كان علناً ورضيت به المرأة .

وان تم بينهما بصداق ولكن دون عقد فهو لقاء آثم .
وان تم بصداق وعقد دون حضور ولي او من ينوب عنه فهو لقاء آثم .

وان تم دون حضور شهود فهو لقاء آثم .
وان تم دون طلب وموافقة اي دون ايجاب وقبول فهو لقاء آثم .

ودرجات الاثم في هذه الصور تختلف ، فان بعضها يلتحق بالزنا وببعضها لا يتم معها النكاح ومنها ما يتم معها النكاح مع استكمال الاركان الناقصة .

وخلاصة البحث ان الزواج لا يتم الا بالصداق والصداق حق خالص للمرأة فاذا وقع اهمال في الاتفاق عليه قبل الدخول فانه يجب بالدخول ويقتل بمهر المثل او بعشر الدية للبكر المسلمة الحرة .

من نتائج غلاء المهور

بدأ الناس يشتكون من غلاء المهور منذ خير القرون ، وقصة الفاروق رضي الله عنه حين اراد تحديد المهر ، وموقف احدى النساء منه ، وردھا عليه ، قصة مشهورة معروفة للجميع .

ومضت الحياة في تيارھا منذ ذلك الحين الى اليوم ، يرتفع المهر في بعض الاحيان حتى يكون تعجيزاً عن الزواج ، وعضلاً للمرأة تستعبد منه لانه يعوقھا عن اشباع نوازع الفطرة في ابانھا ، بطرقھا المشروعة . وينخفض في بعض الاحيان وفي بعض الاماكن حتى يكون اسماً ليفرق بين الحلال والحرام ، وبين هاتين المرتبتين درجات . هذا بالنسبة للامتداد الزمني ، اما بالنسبة للطبقات الاجتماعية وملوك الاسرة فهو لا يختلف عن هذه النظرة وان كان يسير في خطوط متوازية لا تتقارب الا نادراً . فبينما تسير العائلات الفقيرة والمتوسطة على اسلوب معتدل ، يسر للفتى والفتاة تحقيق احلام القلب في الفترة المناسبة من العمر ، تسير العائلات

ذوات الثروة والغنى والمركز الاجتماعي المتكبر بسبب المال او الجاه على اسلوب معقد بما تتكلفه وتكلفه من باهظ النفقات . ولذلك فانك كثيراً ما تجد فتاة - في اسرة غنية - لا ينقصها اي مقوم من مقومات الحياة لتكوين الاسرة ، فهي ذات جمال وخلق ومنبت حسن وثقافة ، واستعداد للحياة الكريمة الهنيئة الرضوية ، ولكنها مع ذلك يبتعد عنها الخطاب ، وتعيش زهرة حياتها عانساً تتألم وتحرق في صمت لان الخطاب لا يقبلون عليها ، واذا قبل بعضهم ردّ لانه لا يستطيع ان يقدم ما يطلب منه من مهر ونفقات .

وهذه الصورة التي رسمناها تنطبق تماماً على الفتى ، فبينما يكون الفتى الفقير او المتوسط الحال قد كون اسرة ، وبنى بيتاً ينعم فيه بالاستقرار والحب ، تجد اسرة الفتى الغني لا تزال تسأل وتبحث ، وتجد الفتى فيها يسلك احد طريقين : إما ان ينحرف فيدخل باب الفساد الخلقي والاجتماعي بما له من اموال ، ولا يبالي باي قيد في اندفاعات الشباب الاولى ، التي تدعو الى اشباع نوازع الفطرة .

واما ان يحافظ على دينه وآدابه فيبقى متلهفاً متحرقاً ولكنه معصم بالعفاف ، ولا يتيسر له الزواج في الوقت المناسب بسبب ما تكبده الاسرة نفسها من نفقات ، وبما يدفعه الى الفتاة المختارة له في نفس الوسط او الطبقة الاجتماعية المغالية . من اموال لا شك انها تؤثر في ميزانه الاقتصادي . ولا سيما ان اغلب اصحاب الاموال يكونون اشد حرصاً

على نمانها ، وعدم التفريط في شيء منها . وقد نشأت عن هذه الحالة فلسفة اجتماعية كانت في بدء امرها تبريراً لانحراف يحس به الناس ويتقدونه ويتندرون به في مجالسهم وكانت تلك الحالة مقصورة على اسر محدودة فصلتها عن المجتمع العام للامة كبرياء جوفاء صنعها المال او الجاه ونفخ بها في نفوس اصحابها ، فاصبحت فيما بعد فلسفة يدعو اليها بعض الناس في حرارة وايمان ...

كان تأخر الفتى او الفتاة عن الزواج في الفترة المناسبة عيباً يخشاه الناس . فما يتأخر الفتى عن الزواج في السن المعقولة إلا لانه لم يجد اسرة ترضى به زوجاً لبيتها ، او فتاة توافق على الزواج منه ، ولا تمتنع اسرة او فتاة عن الزواج من فتى الا لعب فيه او في اسرته ، ومنطقي بعد هذا ان كل فتى تأخر زواجه عن السن المعقولة في مجتمعه . يتناوله الشك وتلوكة الالسة ، ونفس المنطق ينطبق على الفتاة .

وخوفاً من تلك الشائعات والاراجيف تجدد ولي الفتى او الفتاة في الاسر التي اشرنا اليها سابقاً يتحدث بلباقة ليقنع الناس بصواب مسلكه في اعتباره ان بنته وولده لا يزالان صغيرين ، وانه يفضل لهما ان يرشدا ، ويخبرا اسرار الحياة ، ويعرفا بعض مشاكل الدنيا ، ليكتسبا من كل ذلك تجربة وخبرة . ثم ليعتمدا على نفسيهما في اقامة الجانب المادي الذي تركز عليه حياتهما ، وينبني عليه مستقبلهما . ويبرز السامعون رؤوسهم وهم يسخرون ، ذلك ان اتراب الولد والبنت قد

تزوجوا منذ سنوات ، واستطاع كل واحد منهم ان يبني
عشاً سعيداً تظله حياة اسرة ناشئة ، بدأت تلغو فيه ثمرات
الحياة البشرية الاولى لاسرة سعيدة جديدة . كما ان الاسرة
الكبرى لا تزال ترعاها عن بعد او قرب ، وتسدد خطاهما
في سير رفيق رتيب قويم .

لا شك ان القارئ الكريم يتصور هنا حالة هذه الاطراف
جميعاً ، يتصور مقدار السعادة التي اضافها جو البيت ،
وجو الاسرة ، وجو الاستقرار ، وجو المودة الخاصة
الثابتة ، على تلك الاسرة الصغيرة التي تكوّن دون نظر
كبير الى الجانب المادي ، او اعتماد عليه ، او مغالاة فيه .
فقد استطاع الطرفان - ببساطة ويسر - ان يصلوا الى الاتفاق
على احكام الرباط المقدس بينهما وكل ما دفعه الزوج انما هو
شاة من الغنم ، او بغير من الابل ، اذا كانا في بعض الجهات
البدوية ، او مقادير من القمح والشعير والزيت اذا كانا في
الارياف ، او مبالغ طفيفة من النقود او الملابس او الحلي
اذا كانا في المدن .

وبعد ان يكون البيت الفقير قد استقرت دعائمه ،
ورفرت عليه السعادة بمناجيتها ، وجا الاطفال الصغار في
جنباته يزقزون كالعصافير ، وبعد كل هذا ننظر الى البيت
الغني فنجد لا يزال في عملية الحساب والتقدير .

انه بجانب الصورة السابقة للاسرة الفقيرة توجد صورة
اخرى لاسرة غنية فيها مخلوق بشري ذكر او انثى ، تعتدت

امامه سبل الحياة الهنيئة ، لانه قد ارتبط بالجانب المادي
ارتباطاً وثيقاً لا يستطيع التخلص منه . هو فتى نشأ في بيت
غني قد سيطر الذهب الرنان على احساس اصحابه فهم
يعالجون جميع القضايا بمنطق واحد ، منطق الربح والخسارة ،
ويزنون كل شيء بميزان الذهب . وعندما يستيقظ الفتى
وتتحقق عواطفه في مرحلة اليقظة الفطرية للغريزة ، وتوجه
ميوله الى الزواج . يبدأ التفكير في اختيار رفيقة العمر على
منطق ميزانها او ميزان اسرتها من الذهب . ثم كم تكلف ؟
وبكم تتكلف ؟ ويستمر الادل في هذه الموازنات والتقديرات .
والايام تمر ، والفطرة تضغط على الفتى حتى ينتهي الى احد
امرين :

اما ان يتخلل عن خلقه ودينه ، وينبذ العفاف ،
ويستجيب للغريزة العمياء ، ويستسلم للاستهتار ، ويجري
وراء الثمار المحرمة ، حتى يصبح الانطلاق له عادة ،
ويتنرد على قوانين الاخلاق والعرف . فينصرف عن الزواج
ويراه قيداً للحرية ، ويعتقد انه امتع لنفسه ان يدفع عنها ذلك
القيد ما امكن ، متعللاً بكل الاسباب . وتلتقي رغبته المماثلة
هذه مع رغبة اسرته المتفلسفة بمضار الزواج المبكر . وقد
تطول هذه المرحلة بالفتى حتى تضع منه افضل سنوات عمره ،
وازهى ايام شبابه . فاذا اتيج له من بعد ان يتزوج - بعد ان
تمرغ في الوحل - فانما يقبل على الزواج وهو كهمل قد حطم
التحرر من جميع الالتزامات اكرم صفاته ، واجمل ميزاته ،

فدخل أخيراً بيت الزوجية - بعد ان شبت منه دور اللهو والفساد - وقد فسد ذوقه لكثرة ما اختلف عليه من المطاعم والاذواق ، وبردت عاطفته لكثرة ما جاد بها على من لا يستحقها منه ، ومات الحب في قلبه لان قلبه كان عبارة عن بضاعة توهب وتسرّد مع تغير الاشخاص ، وتبدل الوجوه . فلا يحس حياته الاخيرة متعة ، ولا يجد لمن تشاركه فيها حضوراً ، لانه كان يعيش في متاهة ، ولا تزال اخیلته وتصوراته تراقص في تلك المتاهة .

واما ان يلتزم جانب الحصانة والعفاف ، ويقع في مجتمعه وقد سيطر على نوازع فطرته ، وميوله وغريزته ، وتغلبت ارادته على مصادر سعادته ، فهو يعيش سجيناً داخل نفسه ، متألماً ظمآن ينتظر انفراج الازمة . بينما لا يزال منطق الذهب ، وحساب الربح والخسارة ، وعملية الموازنة بين بنات الناس من حيث الغنى والفقر - في نفوس الابوين - تجري على قدم وساق .

اما منطق التبرير فهو المنطق الذي عرفناه ، الزواج المبكر مضر ، هكذا قال فلاسفة الاجتماع .

ولا شك انه لا تصلح المقارنة ابداً بين ذلك الفتى الذي أدّى صداقاً لزوجته شاة او بغيراً او بضعة دنانير ثم تزوج واستقر وانجب ، وبدأ طفله يذهب الى المدرسة وبين هذا الغني الحائر الذي غلبه ميزان الذهب فعاش في حرمان . حرمان من السعادة بالحياة المرتبطة الدائمة مع الفتاة التي

يختارها لان تعيش معه حياة خالدة تستمر مدى الحياة الدنيا ومدى الحياة الاخرى . وشتان بين ذلك البيت الذي بناه الزوجان الفقيران والذي يخلو من الرياش الفاخرة والاثاث الزاهي ، بل حتى من بعض المرافق الضرورية ، ولكنه مع ذلك مفعم بالمحبة والمودة ، مغمور بالسعادة والهناء ، ممتلئ بالاطمئنان والاستقرار . وبين البيت الذي سوف يكونه الفتى الغني بعد تفكير وتدير ، وحساب وتقدير وتقتير وتبذير ، وسعي ولهث ، فصارت جوانبه خالية من معاني السعادة ! السعادة التي تنبعث من داخل النفس البشرية ، وان امتلأت جوانبه ورداهته بالاثاث الكثير ، والفرش الوثير والستائر والحرير ، حتى صار لكأنه معرض للفخر والخيلاء ، لا كناً للاستقرار والهدوء . وكأن الرباط المقدس ليس بين الفتى والفتاة التي جاءت لتعيش معه ، وانما بين الفتى والاثاث . او بين الفتى وتلك النفقات الباهظات ، والخسائر الفادحات ، والاوقات الضائعات ، التي أشقته قبل ان يصل الى هذا النوع من الاستقرار . فهو في الحقيقة يعيش مع قطع الاثاث الفخم ، والمظهر الضخم ، والذوق الحساس في اختيار الشكل واللون . يحيا على اعصابه ويسلك كل مسلك ليرضي صاحبه ، لانه يشعر نحوها بذلك الحب الدافق الذي يملأ جوانب نفسه ونفسها ، ولا لانه يحس لها بذلك الاحترام الذي ينبعث من اعماق الوجدان تقديراً لمزاياها . ولكن لانه يخشى ان يخسر باغضابها ويفقدها ذلك الشيء

الآخر الذي تزوجه معها. يخشى ان يفقد تلك الاموال الباهظة التي انفقت في تكوين البيت وتأثيثه . وغالباً ما تدرك المرأة منه هذا باحساسها الفطري وغريزتها الخيرة بالعواطف ، فتعلم انها لم تملأ قلبه ، ولم تشغل كل حسه ، وان الذي يملأ قلبه اشياء اخرى غيرها فتبتعد عنه بروحها وان اقربت منه بجسمها فيعيشان غريبين في بيت واحد ، وقد ينتج عن ذلك احداث تنتهي في قاعات المحاكم .

وقد تدوم الحياة بينهما ، ويهنا العيش ، وتكون الاسرة الطيبة والبيت السعيد ، وهذا في القليل اما في الغالب فان الرجل وهو يعيش في هذا البيت — لا سيما اذا ضاقت موارده الاقتصادية — يحس الخسارة بما دفع من اموال ، وعندما يثور اي مظهر لعدم الانسجام بينه وبين صاحبة بيته يستشعر الحسرة لانه — في نظره — مغبون مرتين ، مرة حين خسر الجهم من ماله ، ومرة اخرى حين اوقعه سوء حظه على هذا الاختيار . وما يقال عن هذا الرجل في هذا الصدد يقال عن المرأة ايضاً مع زيادة من شناعة الصورة التي توضع في هذا الاطار وقبحها .

فالمرأة التي اوجدتها ظروف حياتها في مجتمع الذهب او على الاصح اسرة الذهب ، قد انفقت عليها الاسرة حسب تقديرها مبالغ جمة من المال لتعيش في مستواها الاجتماعي ، وعندما يتقدم اليها الخطاب يكون افراد الاسرة اشد حرصاً على الميزان الذهبي منهم على اي شيء آخر ، فهم يحرسون

ان يكون الصهر ممن يستطيع ان يدفع المبالغ المطلوبة ، وهم يتعللون لبنتهم وللناس ، بأنهم حراس على سعادتها في حياتها المقبلة ، ولا يرضون لما ان تعيش في مستوى اقل من المستوى الذي كانت عليه في بيت ابيها . ويتظاهرون في تأخير الزواج والاختيار بين المتقدمين اليهم ببعض تلك التعاليل التي قد تقنع البنت في اول امرها ، وقد تقنع بعض الناس ممن يلومهم او ينصحهم وهم في الواقع تتملكهم رغبة اخرى ، رغبة في ان يستردوا بعض او كل ما اتفقوه على بنتهم ، انهم لم يعثروا - بحسب تعبيرهم على العريس اللقطة - العريس الذي يدفع كل ما قيل له هات . انهم في الواقع يفكرون ويؤخرون او يستجيبون تحت ضغط ميزان الربح والخسارة ، لا تحت ميزان الفطرة والمصلحة وسعادة الفتاة .. وتمضي الحياة ، وتنسلخ سنوات من ازهى عمر الفتاة ، وهي تنتظر تحت ضغط الاسرة ذلك اليوم الذي ينتهي فيه حل مشكلتها ، فيقال انها كبرت ونضجت ، واصبحت أهلاً للزواج ، والى ان يحين ذلك اليوم الذي يتقدم فيه الفتى المستعد لتحمل النفقات ، وتصريف الذهب حسب رغبة الاسرة ، تكون الفتاة قد نالت من الوان الحرمان والعذاب . والانتظار والكبت - في اجمل سنوات عمرها - ما يبقى معه طعم المرارة طول حياتها . وحياة الفتاة في هذه الفترة ، وبين هذه الظروف اقسى وأمر من حياة الفتى . ذلك لان الفتاة لا يخلو سلوكها من امرين :

اما ان تعيش في ظل عفافها وخلقها ودينها - في حرمان
كامل - ولا شك ان العذاب ومرارة الحرمان والكبت العنيف
الذي تتحمله في هذه الفترة الطويلة تنوء به العزائم القويّة ،
وتتضاءل تحت ضغطه الارادة المستحكمة ، ويكفي انه يطبع
مسلك هذه الفتاة - وهي في فترة الانفتاح والحركة
والانطلاق ، لتحقيق خيالات الشباب واحلامه - بطابع
الشيخوخة من الانزواء ، والانفراد ومعاشرة كبار السن ،
وكتمان العواطف والاحاسيس ، واجترار الآمال بدل
تحقيقها

واما ان تخلع عنها العذار وتنطلق في سبيل المغامرات
لتشبع منازع القطرة ، مضحية في ذلك بكل شيء ، بدينها
وخلقها وشرقها ، وبالمثل والاخلاق وحتى بسمعة اسرتها ان
كانت لها سمعة .. ولا شك ان حكم المجتمع على الفتاة في
هذا الباب اقسى منه على الفتى واشد . ولا شك انه ينبذها من
حسابه ، ويسقطها من تقديره ، ويرميها بين النفايات
والاوحال التي لا تخلص منها ، ولا شك انها ستحطم طالت
انطلاقتها ام قصرت . بل انها تتحطم منذ الخطوة الاولى التي
تضعها في سلوكها لهذا المتعرج . واذا كانت احكام المجتمع
في هذا الباب تشدد على الفتاة اكثر مما تشدد على الفتى فان
احكام الله تبارك وتعالى تسوي بين الذكر والانثى في هذا
المجال وكلاهما محاسب على قدر اجرامه واستهتاره باحكام
الشريعة وآدابها .

وهناك حل ثالث وهو ما توصلت اليه فلسفة الاجتماع
في هذا العصر في الامم التي يقال عنها متحضرة والتي نلث
وراءها بقاء .

هذا الحل يرى انه لا بأس بتأخير الزواج او حتى عدم
وجوده ، ويمكن للفتاة ان تعوض ذلك بالنشاط الاجتماعي
وممارسة الرياضات والهوايات ، فيكون لها بدلاً من بيت
زوجية سعيد ، ناد سعيد ، تصرف فيه الطاقة الحيوية الزائدة ،
تمارس فيه ومنه الوان الخدمة الاجتماعية وانواع الرياضة ،
ويكون لها فيه بدلاً من الزوج اصدقاء وصديقات تناقش
معهم مشاكل الساعة ، وتتخذ لها الحلول . ويكون لها بدلاً
من الاطفال ، اسر محتاجة الى خدمة اجتماعية فتقدم لها ما
تحتاجه من الخدمة .

يعني ان تلك الفتاة بدلاً من ان تزوج برجل يحبها وتحبه
ويستقل بها وتستقل به ، ترى هذه الفلسفة ان تزوج الفتاة
نادياً من الاندية تمارس فيه هواية ، وتقتل الوقت ، وتؤدي
العمل ، ولا بأس اذا لم تنجب اطفالاً فان اطفال المجتمع
كلهم اطفال لها .

ولا شك ان الفتاة وهي تسير في هذا المخطط شبيهة جداً
بالمريض الذي يعطى حقنة مخدرة تنسيه ألم نفسه لفترة من
الزمن ، فاذا ذهب مفعول المخدر عاد الألم أقوى واشد .
ولا شك ان الفتاة ، وهي منطلقة في النشاط الاجتماعي
والرياضي ، منهمكة في ممارسة الهوايات التي تستغرق جل

وقتها - تبذل من جهدها وعرقها ما يغطي كل او جل وقتها . ولكنها مع ذلك تنتهي من كل ذلك وتفرغ منه لتعود ... وعندما تعود الى البيت تعود باحدى حالتين : إما ان تعود مرهقة متعبة مجهدة تمتد الخطوط السود تحت جفونها تضفي عليها مظهر الكهولة وهي في تفتح الشباب .. وسرعان ما يغلب عليها التعاس فتنام ... هذه الفتاة هي صورة للمريض الذي ينتقل من حالة التخدير الى حالة الموت ، لم يشعر بالالم ولكنه لم يذق طعم الراحة ولا حلاوة العافية .

واما ان تعود وفيها بقية من نشاط وحيوية ، فيتعذر عنها الدوي الاجتماعي الذي كانت تعمل وسط ضجيجيه ، ويتضح لها ان كل ما قدمته انما هو للناس ليس لها منه شيء ، ولا يعود منه عليها شيء ، وانها في حاجة الى شيء تفقده في نفسها ، وفي طبيعتها ، وفي بيتها ، انها في حاجة الى شيء يملأ قلبها . ينسكب في اذنيها فيحيي مشاعرها .

ان حياتها ألم وحرمان رغم المظاهر التي تضفي عليها في نواديها ومجتمعاتها وان كلمات الحب والتقدير والثناء والاعجاب التي تسمعها من الناس انما هي اثمان للخدمة ، وان هذه الاثمان سوف يمسكها اصحابها عندما تتوقف عنهم خدمتها ، أي ان شخصها لا حساب له عندهم ولا وجود . انها في حقيقة نفسها ومشاعرها وفطرتها تمن الى كلمة الحب والثناء التي تعطى لها هي تعطى لشخصها . لا ثمناً للخدمة تقدمها . انها ظمأى الى كلمة الحب والثناء التي تأتيا تعبيراً

عن اعماق القلب ، والتي تمتلئ بما نفسها ، وتحسها في كل حركة وسكنة من قلوب تختص بها وحدها ولا تتعلق الا بها ، وان لم يلتبس اصحابها اساليب رقراقة وتعابير براقية .

انها قد اوت عند الليل الى البيت بعدما فرغت من خدمة المجتمع وعمارة النادي كما نصحتها فلاسفة الاجتماع ، وجدت نفسها دون رفيق او اطفال ، فقد ذهب كل واحد من الرفاق والرفيقات الى دنياه الخاصة به وانصرف الاطفال الذين كانت تعنى بهم الى آباءهم وامهاتهم . وجاءت هي الى دنياها فلم تجد لها دنيا خاصة بها . انها وجدت حجرة صامتة صمت القبور ، واثاثاً موزعاً في اركان البيت المهجور يبعث على الاسى والكآبة ، وسريراً بارداً جامداً لم تنبض عليه حياة . فصارت في موقف المريضة التي زال عنها اثر المخدر فرجع اليها الاحساس بالالم كاشد ما يكون الاحساس والالم في حالة الوحدة والظلمة والافتراق .

هذه الصورة الاخيرة في الواقع بدأت تتكون في المجتمعات الاسلامية منذ عهد قريب جداً تقليداً لامم اخرى لا ترى ما يمنع الفتى او الفتاة - وهي منطلقة في انواع من النشاط - من ممارسة مطالب الغريزة على احط انواع الحرية في الميدان الحر حسب الرغبة الفردية . لان تلك الامم لم تترك في مجتمعاتها شيئاً تفرص عليه فيما يتعلق بالدين والعفاف . والمجتمعات المسلمة حين تقلد تلك الامم فتضع الفتى وتضع الفتاة تحت تلك التجربة القاسية والمحنة المهلكة ، فان

نتيجتها لن تكون الا دمارهما ذنباً واخلاقياً ، ودمار مجتمعاتهما .

وفي آخر هذا الفصل الذي غلبني فيه الحديث وتشعب احب ان احترس خشية ان يفهم القارئ غير ما اريد .
انني لا انتقد النشاط ، ولا خدمة المجتمع ، ولا ادعو الى كف الشباب ذكوراً واناثاً في خدمة الامة في جميع انواع الميادين او شل حركتهم او الحيلولة دونهم ودون الكفاح في صرف الطاقة الزائدة من الحيوية فيما يعود على الوطن بالخير .
وانما الذي اريده ان ييسر لهم العمل والكفاح مع ضمان الصيانة ومراعاة الاخلاق الفاضلة التي يدعو اليها الاسلام ويعتز بها المسلم واتقاء المزالق التي انحدرت بامم وشعوب حتى اباحوا لانفسهم ما لم يبيحه حتى الحيوان ثم ان الذي اريد ان اوضحه في هذا الفصل انما هي الاضرار الناتجة عن تأخير الزواج عن السن المعقولة وان ذلك كان يحدث سابقاً في الاسر الغنية لدوافع مادية اما في الوقت الحاضر فقد اصبح تأخير الزواج عن وقته الطبيعي فلسفة يدعو اليها البعض تقليداً لامم اجنبية واتباعاً لآراء مستوردة ، وقد يزعم هؤلاء كما زعم اولئك ان النادي والهواية والخدمة الاجتماعية تمتص الطاقة الحيوية الزائدة فلا يحتاج معها الفتى والفتاة الى الزواج ، وقد يندفعون خطوة اخرى بعد ذلك فيرون انه لا مانع ان يسلك الفتى ونسلك الفتاة مسلك زميلين في الامة المتحضرة من ممارسة الحربة العاطفية على اي مدى وفي كل ميدان .

ولا شك ان هذه الخطوة طبيعية بعد تلك الخطوة فان النشاط
 مهما امتص من حيوية ومهما كان مرغوباً به فلن يقوم عند
 الفتاة مقام الزوج . ولن يسد في البيت مسد الاطفال وايهم ،
 وان الهواية مهما امتصت من حيوية ومهما شغلت من فراغ
 واخذت من وقت فانها لن تقوم عند الفتى مقام الزوجة ،
 ولن تملأ في البيت فراغ الاطفال وامهم . وانها لجريمة من
 الاسرة والمجتمع وحتى الدولة ان نلقي بالفتاة في اتون الحياة
 المحرق تجري بها سنوات العمر حتى تكاد تخلف وراءها
 الشباب الحي اليناع المواري لتنطفئ في رماد الكهولة ، ونحن
 نعتز لها باننا لم نجد الزوج الذي يستعد لدفع الذهب او
 نفلسف لها بان المجتمعات المتحضرة يتأخر فيها الزواج ،
 ونقدم لها بدلاً من الزوج الكريم والبيت السعيد والطفل
 المحبوب لعبة النادي او مشغلة المجتمع لتلهو بها وتقوم لها
 مقام ذلك كله . ثم نزعم لها ولا نفلسف اننا اعطيناها ما تحافظ
 به على عفافها وتستعين به على الاستمساك باخلاقها على منطق
 الشاعر الذي يقول :

القاه في البحر مكتوفاً وقال له اياك اياك ان قبّل بالماء
 وهل يستطيع المقيد حين يرمى في البحر ان يحترس من
 البلل .

وما يقال عن الفتاة في هذا المجال يقال عن الفتى مع
 العلم ان الفتاة اقوى عزيمة وإرادة على السيطرة على نفسها
 وعواطفها وميولها واخشى واكثر حذراً من السنة سوء .

هذه بعض النتائج التي تنجم عن تأخر الزواج بسبب
غلاء المهور عند الاسر الغنية في عهود سابقة والتي تنشأ عن
تقليد أم ليس لها ديننا ولا اخلاقنا ولا مثلنا .

واذا كانت الصور السابقة في الاسر الغنية آخذة في
الاختفاء تدريجياً ، فان الصور الاخيرة ، المبنية على التقليد
الاعمى ، آخذة في الزحف اليها تدريجياً . وعلى هذا المجتمع
المسلم بما فيه من اجهزة الدولة والامة ان يفكر بامعان في
طريقة استقبال هذه الاشياء الكثيرة الزاحفة اليها من امم قبل
عنها انها سبقتنا في الحضارة . والتي يتلقى السذج والمغفلون
كل ما يجيء منها بتقدير واعجاب ، ولو صدر اليهم
لتدميرهم وخرابهم ! ..

على هذا المجتمع المسلم بما فيه من اجهزة الدولة والامة
ان يستقبل هذه الزخوف بشتى الاسماء بكثير من اليقظة
والحذر ، حتى يرحب بالطيب المفيد ويرد ما يضر وبوذي ،
ويدفع ذلك بغير العنف الذي ينشأ عنه احياناً التحدي ورد
الفعل ، فيخلق التذمر اولاً ثم الانشقاق في الصفوف .

أسباب غلاء المهور

عرضت في الفصل السابق بعض النتائج التي تترتب على غلاء المهور ، وإن ظاهرة التغالي في المهور كانت في أسر محدودة بسبب تشبها بمظاهر اوروستقراطية ينتج عنها تأخير الزواج كما ينتج عن تقليد الاجنبي والاخذ بالآراء الوافدة مع بلايا الاستعمار الكثيرة .

ويبدو لي ان ذلك ينطبق على اكثر الشعوب العربية (١) والاسلامية . اما هنا في ليبيا المسلمة فقد كانت صور الواقع الذي يعيش عليه المجتمع ، صوراً طبيعية لحياة مجتمع سليم ، اذا استثنينا اسراً محدودة من قوي اليسار والغنى ، والتي تجعل للمادة حساباً على اعصاب ابنائها وبناتها ، فتعيش الفتاة في البيت الغني تحيط بها مظاهر الترف ، ولكنها في جفاف من

(١) هذا تعبير غير سليم وإن درج عليه الناس أخيراً فهو يوحى بان الشعوب العربية شيء منفصل عن الشعوب الاسلامية والله تبارك وتعالى يقول « وان له أنتم هذه أمة واحدة » .

هذا أنتم

العاطفة ، ويحسدها زميلاتها على الثروة ، ولكنهن - وقد تروجن وانجن - يرين فيها عانساً لا يلبث الزمن ان يخط التجاعيد على جبينها ، ويحول البشرة الناعمة المشرقة والصحة البادية عليها الى طبقة من جلد بارد مصقول يغطي طبقات من اللحم المترهل ، ويلف مجموعة من العضلات المرتخية . بل انها هي نفسها بعد ان يطفىء طول الانتظار شعلة الروح المتوهجة داخلها تبدأ بالاحساس بذلك وكلما تأخر بها الزمن تضاعف به ذلك الاحساس . وعندما تخفي كل لداتها واترابها او اغلبهن في بيوت كونها بعدد قليل من السنين ، يكبر بها ذلك الاحساس فيحطم اعصابها ، ويملاً فراغ حياتها بالالم ، وهي في كل ذلك تخفي احساسها عن الناس ، تحرق وتألم في صمت ، او تشكو في خفوت الى من تثق به من القرائب والصديقات .

وجاء البترول ودخلت الاموال الى ايدي كثير من الناس . وفهم البعض ان الغلاء علامة التميز والجودة ، وان غلاء المهر دليل على غلاء البنت وعزها ، فتشبث بعض اولياء البنات بهذه الظاهرة الجديدة ، وساعدهم على ذلك ان بعض الفتيان كانوا في حرمان مادي فوجدوا انفسهم في سرعة ذوي دخل طيب . وكانوا لا يختلفون في نظرهم الى الامور عن اولئك الاولياء ، فهم يقدرون الاشياء تقديرأ مادياً سطحياً ، يعتقدون ان اغلى الاشياء في السوق اجودها ، ي بمقدار ما يرتفع الثمن ترتفع جودة البضاعة ، وسلموا

بهذه النظرة السطحية الخاطئة ، ثم نقلوها من ميدان مادي
 صرف الى ميدان روحي لا تدخل المادة فيه الا في اعتبار
 جانبي له اسباب . وهكذا ظهر الفتى الذي يريد ان يدفع
 اكثر مما يدفع غيره ليقنع نفسه ويقنع الناس انه قد اختار
 شيئاً نفيساً ، شيئاً غالياً عزيزاً . لانه دفع ثمناً باهظاً . ويرر
 ذلك فيقول لنفسه ان لم يقل للناس ان الفتاة التي اختارها فتاة
 غالية تستحق ان تبذل في سبيلها الثروات . وحتى عندما يجب
 اولياء الفتاة ان يتقيدوا بعرف مجتمعهم ولا يريدون ان يرفعوا
 المهر فوق ما جرت به العادة عندهم ، فان الفتى يعالج
 مشكلته النفسية بمظهر الاسراف في انواع الهدايا ، والتغالي
 فيها ، وشراء اغلى التحف حتى ولو لم تجر العادة باستعمالها
 في بيته ، ثم الاتفاق في أيام الزفاف بلا حدود ، وليس
 مهماً عنده ان ينتهي رصيده المحدود ، وان تركبه الديون .
 وانما المهم عنده ان يظهر بمظهر الغني الذي ينفق في هذه
 المناسبة بدون حدود ، وان يستل كلمات الاعجاب من
 صدور الامل والاصهار والزائرين ، كانما يريد ان يعلن
 للناس انه قد ملك اعز فتاة في الدنيا ، وان كل ما يبذل في
 هذا السبيل قليل . وهو من جهة اخرى ينتقم من وضعه
 السابق حينما كان فقيراً تعوزه الشربة واللحمة ويحاول ان
 يحويه من ذاكرته وذواكر الناس وذاكرة الزمان ايضاً .
 ويريد ان يعرف الناس انه صاحب اموال . لا تنفذ ولا تنتهي
 وان لا يصدقوا انه كان في يوم من الايام يعيش في فقر

وحرمان .

وبدأت العادة تسري : اهل البنت يرون ان بتهم ليست اقل من فلانة وفلانة فيجب ان لا يقل مهرها وجهازها عنهن ، واهل الفتى ولاسيما الام لا يهمل السيل الذي تجيء منه الاموال ، ولا الحالة التي ينتهي اليها ولدها مع زوجته بعد حفلة العرس وانما يهمل ان يفغر النساء افواههن بما اظهرت وان يكون فرحها بولدها خيراً واعظم من فرح ابن فلانة وابن فلانة .

وهكذا لا يلبث ان يظهر في كل جهة ذلك الفتى الاحمق الذي يريد ان ينتقم من فقره السابق بالاستمساك بمظاهر الغنى والمغالة فيها فيغالي في المهر ويغالي في النفقات في المناسبات وينافسه على ذلك حمقى آخرون ويزيدون عليه .

واستيقظ المصلح الاجتماعي فجأة على عادات انتشرت في كل بلد من بلدان الجمهورية ، يستقدها الجميع ، ولا يعمل احد على مكافحتها ، والحد منها والتقليل من شرها ، واصبح الخوف من الزواج بما يكتنفه من نفقات يهدد الشباب ، وزاد الموضوع تأثيراً في نفوس الناس دعايات واشاعات وقصص عن وقائع تتضمن قليلاً من الحقائق وكثيراً من الاكاذيب . وارتفعت الشكوى المرة من غلاء المهور في الاحاديث الخاصة والعامة وتحركت يد الاصلاح في احاديث ومقالات وندوات ، تأمر وتنهى وتكشف عن الاضرار التي تلحق الافراد والمجتمع . وقد ادت وسائل

الاعلام في هذا الصدد جهلاً مشكوراً فقد تعاونت الصحافة مع الاذاعتين الى ابلاغ صوت الاصلاح الى الناس جميعاً ، ولكنه كان صرخة في واد ، ونفخة في رماد . لان كلمة الاصلاح انما تفيد عندما تقع في اذن من يملك فكراً وارادة فيستطيع ان يفكر واذا تبين له الخطأ ان يقف ويراجع نفسه ، اما هذا الموضوع فهو بايد تتصرف بدون تفكير وتسير بدون وعي . ووجد الشباب الجاد منه والعاث ، في هذه الاشاعات والحملة عليها مبرراً كافياً للزواج في غير الجمهورية ، فينطلق القتي خارجها لمدة قصيرة قد لا تبلغ الشهر ليعود معه بزوجة له ، تجر معها في اغلب الاحيان اسرة تبحث عن عمل مناسب . وكثير من اولئك الفتيان انما حملهم على الزواج من الخارج مركب النقص في نفوسهم لاعتقادهم ان المرأة اللبية دون غيرها فهماً للحضارة فهو اذا جاء من خارج الحدود يتأبط ذراع امرأة يعتقد انه دخل الى الحضارة من اوسع ابوابها . وهذا نفس المعنى الذي يحول في اذهان اولئك الفتيان الذين عاشوا فترة قصيرة في دول مشرقة فتزوجوا منها بنساء وعادوا بهن الى مجتمعاتنا النظيفة يمثلن بقية من الاستعمار تحتل طائفة من الافكار والعقول . لا شك ان هذه الحالة الناتجة من غلاء المهور وفي الحقيقة عن مظاهر الاسراف في الهدايا وفي نفقات العرس سببت مشكلة اجتماعية واخلاقية ، وستزداد هذه المشكلة تعقداً ورسوخ جذور في هذا المجتمع الذي يتميز بالتنافس

والاندفاع والحماس . والى ان يذوب منطق الذهب من
روؤس الاسر الغنية ، وتنقش سحب الفلسفة التي تدعو الى
تأخير الزواج عن مواعيده الفطرية ، ويستقيم تفكير الشباب
المستغني حديثاً ، فلا ينجل من ماضيه الفقير ، ولا يفخر
بمحاضره الثري ، ويرى القى الليبي حقيقة الفتاة الليبية فيعرف
انها ان لم تكن خيراً من غيرها فهي لا تقل عن اية فتاة اخرى
من اي بلد كان ، وتنحل عقدة مركب النقص في نفوس
اولئك الذين يعجبون بكل ما هو خارج حدودنا ، ويستهنون
بكل ما عندنا ... الى ان تدخل الثقافة الصحيحة في كل
عقل ، ويقلب التفكير السليم على كل منطق ، ويحرص كل
فرد على ان يتصرف تصرفاً واعياً ذكياً .

الى ان يتم ذلك فسوف تبقى عندنا تلك المشاكل التي
اشرنا اليها في اول هذا الفصل وقد تتضخم وترداد .

المهور ليست عَالِيَةً

كثرت شكوى الناس من غلاء المهور وارتفاعها ، وهذا الغلاء والارتفاع - فيما يبدو - حقيقة واقعة لا تحتل الشك او الجدل . ولكننا اذا اردنا ان ندرس الموضوع دراسة تنبني على تقدير سليم ، وملاحظة للواقع العام ، لا لوقائع قليلة تعتبر شذوذاً او نشازاً في الحياة الرتيبة للمجتمع فما هي نسبة الارتفاع او الغلاء في خلال عدد من السنوات ؟ ان المهور كغيرها من المظاهر الموجودة في المجتمع تتأثر بالسلوك العام ، وتتغير مع تغيرات ظروف الحياة ارتفاعاً وانخفاضاً ، ولا شك ان مقومات الحياة جميعاً في السنوات المتقدمة وبعد اكتشاف البترول قد تغيرت . وان اسعار جميع الاشياء قد ارتفعت . وان الميزان الاقتصادي كله قد تضاعف ، فهل كانت نسبة ارتفاع المهور اكبر واكثر من ارتفاع بقية مقومات الحياة ؟ لو كان الجواب بالاثبات لصح ان نقول ان المهور حقاً ارتفعت ووصلت الى درجة من الغلاء لاتطاق . ولكن الجواب هنا لا يكون بالاثبات ابداً الا اذا اعتمد على وقائع فردية

تعتبر شذوذاً في كل مجتمع .

ان المهر في الواقع لم يرتفع بل انه ما زال يسير خلف
الركب الاقتصادي بمسافات بعيدة . ولقد يكون هذا التعبير
غير صحيح لان الارتفاع عما كان عليه قد وقع فعلاً . ولكن
الذي اريد ان اقله انه وان ارتفع فلم يصبح غالباً ، لان
نسبة الزيادة فيه هي اقل بكثير من نسبة الزيادة في الميزان
الاقتصادي العام . سواء بالنسبة لثروة البلد او لاسعار
الحاجيات او للدخل الفردي .

وفي كثير من الدواخل بقي المهر على ما كان عليه قبل
عهد البرول بل قبل ذلك بكثير ، بسبب عادات او اتفاقات
محلية جرى عليها عرف تلك البيئات وفي بعضها قد ارتفع
بنسبة طفيفة . وفي بعضها قد ارتفع بنسبة عالية لكنها غير
غالية لان المقدار الاصلي كان رمزياً لا يساوي الا قليلاً .
ولقد يقول من يبتغي التهويل في بعض تلك الجهات ان
الصداق بلغ عشرين ضعفاً عندنا وقد يكون صادقاً ولكننا
اذا سألناه وكم كان الصداق عندكم قبل ان يرتفع هذا
الارتفاع الهائل ، يجيب ان الصداق كان ديناراً واحداً .
ولا شك ان تضاعف الدينار الواحد عشرين مرة حتى اصبح
عشرين ديناراً تضاعف كبير ولكن المهر مع ذلك لا يعد
مرتفعاً ولا غالباً في هذا الحين وهل يتناسب هذا الصداق بعد
هذا الارتفاع مع الميزان الاقتصادي ومع الدخل الفردي ومع
الاسعار في جميع مرافق الحياة ؟

لا شك ان الجواب واضح . فهذا المهر ليس مرتفعاً ولا غالباً في اي مكان من انحاء الجمهورية حتى ابعدها عن النمو الاقتصادي وأكبرها احتياجاً وفقراً . ومع ذلك لو جئت الى بعض المناطق التي لم يتغير فيها مقدار الصداق عما كان عليه قبل البترول بسبب الاتفاقات المحلية الخاصة والتي لا يتجاوز فيها المهر بضع جنيهات لوجدت الناس يشتكون من غلاء المهور ، ويزعمون ان الفقير لا يستطيع ان يتزوج بسبب الغلاء .

لا شك ان المهر نفسه في هذه الصور التي عرضتها او فيما يشبهها من الصور وهي الغالبة لا يكون مشكلة ولا عقبة ، ولكن الذي يكون المشكلة حقاً ، ويكون عقبة امام الشباب انما هو التصرف الذي لا يرتبط بميزان او حق ، وليس له حد او نهاية .

ان كثيراً من القرى والارياف حددت فيها المهور من ازمة بعيدة وان ذلك التحديد لا يزال مراعى ومعمولاً به ، ولكن تلك المجتمعات القروية والريفية لم تستطع ان تقف امام العادات الحديدية التي بدأت تدخل الى الناس لتخرب بيوتهم . ولعل حمى المنافسة في اختراع مناسبات الهدايا والتغالي في انواعها والاكتثار منها هي الاسباب الحقيقية التي تضر بميزانية مريد الزواج وهو غالباً لا يفرق بين الصداق الحقيقي الذي هو حق للمرأة وبين رغبات الامل والجيران والزوار ، وحمى المنافسة بين الناس . فيحسب كل ذلك من

الصداق . فاذا رأى نقوده تنطير من جيبه اشتكى من غلاء المهور . ان من يحضر كثيراً من عقود الزواج يرى ان المهر في الحقيقة مناسب وقد يكون اقل من المناسب عبارة عن شيء رمزي . ولكنه مع ذلك يجد اسرقي العريسين تملآن الدنيا بالضجيج والشكوى احدهما من غلاته والاخرى من تفاهته فهل كان المهر في الحقيقة هو مصدر ذلك الضجيج ومبعث تلك الشكوى ؟

بالطبع لا ، لان المهر الحقيقي لا يتعدى بضع جنيهات ، وقد لا يتعدى شاة او ثمنها ، ولا سبيل الى الشكوى من هذا المبلغ التافه ، ومع ذلك فاسرة الزوج تشيع ان المهور غالية ، وانها تكبدت في فرحها خسائر فادحة ، وان الفقير يعسر عليه الزواج ، وان الافراح لا يقوى عليها الا الاغنياء المياسير . والواقع ان المهر في الصور السابقة كلها ليس مرتفعاً ولا غالياً ولا يكون مشكلة ولا يقف حائلاً دون اتمام قضية الزواج فما هي المشكلة اذن ؟

سبب المشكلة هو عادة اخرى لا تمت الى المهر بصلة وانما تخفي وراء التقاليد والعادات ، تنخر في اقتصاد الاسرة كما ينخر السوس ، فترفع منها الشكوى ولكن الانظار لا تتجه اليها عند محاولة العلاج . وقد بلغت هذه العادة من السيطرة على مجتمعنا الليبي الى حد مخيف ، بل انها تكاد تكون سبباً للمشاكل في جميع مسارب الحياة . هذه العادة هي مزيج من حب التقليد وحب الظهور وحب الاسراف . تقوم عند

شخص او اسرة جميع دواعي الزواج ، وتتوافر لديه كل اسبابه ويضع الخطة المبدئية للموضوع ثم يحجم فيؤجل ويؤجل وقد يترك والاسباب التي جعلت هذا الفتى او هذه الفتاة يحجمان عن الزواج هي نفس الاسباب التي تجعل كثيراً ممن وجب عليه الحج وتوافرت شروطه ولديه النفقة اللازمة له ولاسرته مدة غيابه . ولكنه مع ذلك يتردد ، يعزم ثم يحجم فيؤجل ويؤجل . ان تلك العادة اللعينة التي تغلغت في المجتمع قد اعترضت سبيله ، وحالت دونه والقيام باداء الفريضة . وهذه العادة اللعينة تظهر في مناسبة اخرى من مناسبات الحياة فتسيطر على الناس ، وتجعلهم يتصرفون كالمجانين دون عقل او دين . انها تبرز ايضاً في المآتم !! ولو اتيح للميت هو الآخر ان يؤجل موته فراراً من تلك العادة لفعل .. لقد جمع شيئاً من المال في حرص ليتركه لورثته من بعده فما يعلن عن موته حتى تتعاون ايد غير مسئولة عن تبديد تلك الثروة وتبذير تلك الاموال في ليال قليلات - بتحكم العادة - تاركة في نفوس الورثة حسرتين حسرة على الفقيد الغالي الذي رحل بقدر الله ، وحسرة على الاموال التي صرفت بغير حق وفي غير حق ، ولغير وجه الله .

لقد صارت تلك العادة مرضاً من الامراض ، حمى من الحميات نستطيع ان نسميها حمى الانفاق والاسراف لادنى مناسبة وهي خطيرة شديدة العدوى . فما تبدو مناسبة طيبة او موتة لشخص من الاشخاص حتى يستعد

الاقارب بمختلف قراباتهم والجيران للتوزيع والتبذير واتلاف
الاموال في كثير من الاحوال دون الرجوع الى اذن صاحب
الحق في التصرف. بل ان بعضهم يتباهى بكثرة الانفاق
واتخاذ الترتيبات معتقداً ان ذلك يدل على نباهته ورفعة ذوقه
ومعرفته بالاصول .

وان صاحب المناسبة سواء كانت مناسبة سعادة او
مناسبة مصيبة ليرى الأيدي تنثر امواله ، وتبعثر ثروته ولا
يستطيع ان يتكلم ، ولو تكلم لحدثت مشاكل . بل ان العيث
والفساد قد يصيب بعض الاقارب والجيران وامرهم الى الله .
المهر مظلوم في ٩٠٪ من احواله وهو ليس مرتفعاً ولا
غالياً ، ولا يتعدى في الغالب المستوى المعقول للجانب
الاقتصادي في البلد او عند الاسرتين . ولكن المناسبات التي
تحيط به هي المشكلة او العقدة التي تحتاج الى حل .
ان الاسراف في الهدايا والاسراف في خلق المناسبات
والاسراف في الاطعام والاسراف في العزومات والاسراف
في المظاهر وما يتبع ذلك هو الذي عقد مسألة الزواج ، واصبح
يقوم حائلاً دونها ، واحسب انه لو بدا للدولة ان تتدخل في
الموضوع وحددت المهور في جميع انحاء الجمهورية بمائة
درهم والزمت الناس بذلك لما كان في ذلك حل للمشكلة ،
ولا حتى مساعدة على حلها . وذلك لان المشكلة في الحقيقة
ليست في غلاء المهر ، وانما في طرق الانفاق الاخرى ،
وتلك الطرق لا سبيل الى حصرها وتحديدتها .

والامهات والقرائب والصديقات لا يزلن مستعدات للطلب ، واكتشاف اوجه جديدة للانفاق ، وحريصات على ان يتفوقن عن سبقهن من اصحاب الافراح ، والابناء لا يزالون يستجيبون وينفقون معتقدين ان كل ما يطلب منهم هو الواجب ولا يصح فيه التقصير .

وهكذا يبدو ان الشكوى من غلاء المهور ليست في محلها لان المهور - في الغالب - مناسبة للوضع الاقتصادي في البلاد ، وانما الذي يكون سبباً للشكوى انما هو ما يرافق الزواج من تكاليف باهظة ، سواء منها ما يعطى لاهل الفتاة كهدايا او ما يصرف في مناسبة العرس كهدايا للقرائب والصديقات وما يتخذ من ولائم تنبئ فيها المغالة والاسراف . وهذه الوجوه لا يمكن ان يضبطها قانون او يحددها اتفاق ، او يتحكم فيها عرف . ولا يمكن ان يوقف تغلغلها نصح او ارشاد . وانما يوقفها وينظمها ويحددها ويردها الى المستوى المعقول دين ووعي وثقافة وقوة ارادة ، وبدء المصلح الاجتماعي والداعي الى الاصلاح ببسته وبمن يتصل به وبمن يحترم رأيه حتى يصبح السلوك المعتدل هو العادة التي يسير عليها الناس .

والى ان يتم ذلك فان المجتمع سيعاني من تحكم هذه العادة ، وسيتألم من تلك الحمى . وستضيع اموال قيمة من اقتصاد البلاد في غير طائل بسبب رغبة ذوات وذوي الرؤوس الفارغة ممن يتحكم في المناسبات الاجتماعية ويعطي لنفسه حق التصرف فيها .

المهر جحق لين؟

المهر او الصداق هو مبلغ من المال يدفعه الرجل الى المرأة مقابل -حلية الاستمتاع بينهما- وبديهي من هذا ان ذلك المال هو حق شخصي للمرأة ، يجب ان يصل اليها ، وتتصرف فيه تصرف المالك في ملكه ، ولا يحق لاحد من الناس ان يأخذه منها .

ليس من حق الاب ولا من حق الام ولا من حق اي شخص آخر ان يأخذ المهر ويتصرف فيه .

وقد حاد الناس عن الحق في هذا الموضوع ، فاصبح الآباء او الاولياء يأخذون المهور من الأزواج كتعويض لهم عما انفقوه عن بناتهم . وهذا الانحراف عن الحق هو الذي كان السبب الاكبر في غلاء المهور . ذلك ان ولي امر البنت ، عندما يطالب بالمهر انما يطالب بمال يريد ان يعوض به ما ضاع منه من اموال في سبيل اعداد البنت لبיתה الجديد ، او ان يسترد بعضه على الاقل ، فهو يقالي ما امكته المغالاة . ويساوم ما استفاد من المساومة ، بل انه ليكثر من الاتفاق

والاسراف في الاعداد بناء على انه سوف يستخرج كل ذلك من يد الزوج .

لو ان الناس حافظوا على هدي الاسلام ، فاعطوا المهر لصاحبه دون ان يتدخلوا فيه ، ودون ان ترتبط لهم به مطامع ، لاختفى سبب هام من اسباب غلاء المهور ، وهو طمع الآباء وجشعهم ، ولا سيما في المدن .

لعلك ايها القارئ الكريم ، - باسترواح معاني الآيات الكريمة التي تحدثت عن المهور - يبدو لك واضحاً كما بدا لي ان المهر حق شخصي للمرأة ، لا يجوز لأحد ان يأخذه منها او يتصرف فيه ، وانما يجب ان يسلم اليها كاملاً ولو كانت أمة لا تملك شيئاً ، بل يبدو من الآيات الكريمة ان المرأة نفسها لا يحق لها ان تتنازل عنه للناس . فلا يحق لها ان تتنازل عنه ، لا لزوجها ولا لاوليائها ، وانما عليها ان تقبضه كاملاً ، وتتصرف فيه حسب مصالحها ، فاذا تسلمته وارادت ان تعطي منه لزوجها طيبة نفسها فلا بأس بذلك . ولكن يبدو انه حتى في هذه الحالة لا يصح لها ان تتنازل عن كل صداقها لزوجها ، وان طابت بذلك نفسها وتأمل ان شئت قوله تعالى : « فان طبن لكم عن شيء منه نفسا » ان استعمال كلمة « شيء » هنا وهي تدل على التجزئة والتبعض يفهم منها انه يجوز للمرأة ان تعطي جزءاً من صداقها بعد تسلمه وامتلاكه والتصرف فيه - الى زوجها ولكن ينبغي ان يكون المقدار المتنازل عنه شيئاً من الصداق

اي جزءاً منه . بمعنى انه يجب ان تحتفظ بالاكثر لنفسها .
ولها ان تتنازل عن القليل اذا شاءت ، ولا يحق لها ان تتنازل
عن كامل المهر كما لا يجوز لها ان تهب نفسها لرجل دون
صداق وان طابت بذلك نفسها ورغبت فيه .

وبالنظر الى هذه الحقائق ، نجد العادات التي يسير عليها
اغلب الناس في هذا الموضوع . قد خرجت عن الحكمة ،
وخالفت توجيه الكتاب والسنة ، وبعدت عن هدي خيار
هذه الامة . فبدلاً من ان يكون الصداق حقاً وملكاً للمرأة ،
يسلم اليها مباشرة تتصرف فيه كما تشاء ، اصبح المهر حقاً
للاولياء يسلم اليهم ولا يصل اليها منه شيء فهي في هذه
الصورة ، لم تتمكن حتى من شكلية التصرف ، ولينهم حين
فعلوا سلموا اليها حقها حتى تقبضه بيدها ثم طالبوها بتسليمه
لوالدها او اولياؤها ، انهم لو فعلوا ذلك لحافظوا على المظهر
والشكل على الاقل .

اما الصورة التي تزوج عليها الفتاة اليوم في اكثر
الدواخل ، وربما حتى عند اكثر الناس في المدن ، فهي شبيهة
ان تكون الفتاة هدية مزينة يقدمها الاب للزوج ، انها لم
تمنح نفسها للزوج دون صداق ولكنها في الواقع منحت له
كذلك ، انها تشبه ان تكون دمية يأخذها الراغب ويدفع
الثلث الى البائع دون ان يكون لها في الامر دخل .

ان الزوج قد دفع الصداق ، ولكنه دفعه الى من لا
يستحقه ، وتزوج امرأة لم يصلها من صداقها شيء ، فهو

برغم انه دفع ولكنه كمن لم يدفع لانه دفع الى من لا يستحق وهو قد استحل لنفسه من المرأة ما لم تتلق عنه وسيلة الاستحلال ، وقد استباح الاب لنفسه ما لا ليس من حقه ، وقد حدد الشارع لهذا المال مكاناً هو على كل حال ليس خزانة الاب او الولي او الزوج وانما يد المرأة التي استحلت بكتاب الله .

قد يقول قائلون ان الاب او الاولياء قد اتفقوا على تجهيز البنت وإعدادها للزواج بمبالغ طائلة تفوق كثيراً مبلغ صداقها ، بل ان الصداق نفسه قد اتفق في بعض ما يجب لها لتتأهل به لحياتها المقبلة والجواب على هذا واضح لا يحتاج الى تفكير . ان واجب ولي البنت منذ ولدت يقضي عليه ان يتعهدا ويرعاها ويربيها التربية الحسنة وينفق عليها حسب استعداده المالي وان يوفر لها الحياة الكريمة الى ان تنتقل منه الى بيت الزوجية ، فهو مسئول عنها مسئولية كاملة في هذه الفترة التي تمتد ما بين باب الرحم وباب بيت الزوج اعني منذ ولادتها الى ان تدخل تحت تعهد الزوج ومسئوليته ، وعليه ان يعدها للزواج كما تعد اترابها ونظائرها ، وان يسلمها للبيت الجديد السعيد بما يناسبها ، والنفقات اللازمة في ذلك واجبة عليه فهي مكملة للنفقات السابقة . اما الاسراف واتباع المظاهر ، والعبودية للتقاليد ، والخضوع للعادات مهما كانت سيئة ، فذلك ليس من واجبه ، وليس من حقها عليه ، بل ان من حقها عليه ومن واجبه الاجتماعي ان يراعي الاقتصاد

والاعتدال والحكمة في التصرف ، وليس من حقه ان يأخذ من اموال البنت ليحافظ على مظهره بين الناس ، وليستدر اعجاب المجتمع بما يسرف فيه من النفقات سواء منه ما كان يستهلك في ظروف الفرح او حتى ما يعطى للفتاة لتأخذه معها الى البيت الجديد . وواجبات الاب تقف عند باب بيت الزوج وليس عليه ان يقدم بعد ذلك شيئاً مطلقاً ففي هذا الحد تنتهي مسئولية الاب لتبدأ مسئولية الزوج .

ولعل مما يهم القارئ الكريم ان يعرف ما يقوله الاستاذ : سيد سابق في كتابه القيم فقه السنة الجزء السابع صفحة ٨٣ في هذا الموضوع فقد جاء فيه ما يلي :

« واما المسؤول عن اعداد البيت اعداداً شرعياً ، وتجهيز كل ما يحتاج له من الاثاث ، والفرش ، والادوات ، فهو الزوج . والزوجة لا تسأل عن شيء من ذلك ، مهما كان مهرها ، وحتى ولو كانت زيادة المهر من اجل الاثاث ، لان المهر انما تستحقه الزوجة في مقابل الاستمتاع بها . لا من اجل اعداد الجهاز لبيت الزوجية ، فالمهر حق خالص لها ، ليس لابيها ولا لزوجها ولا لاحد حق فيه . »

وقد يبدو لبعض الناس انه لو استؤذنت البنت في هذا الشأن لأذنت بصرف الصداق بعضه او كله في هذه المناسبة . وهذا صحيح فما احسب انه توجد فتاة في مجتمعنا الليبي تستأذن في صرف صداقها في حفلة عرسها فتقول : لا ! ولذلك فانا ارى ان استئذنها وعدم استئذنها في هذه الحالة

لا يختلف ، وارى ان استشارتها لاتفاق صداقتها في تلك الظروف وموافقتها على ذلك لا تغني ولا تعني شيئاً . فان الفتاة حينئذ تكون في حالة نفسية لا تسمح لها بالمعارضة ، ولا بالاستمسك بشيء يخصها ، وكيف تجرأ ان تستمسك بصداقتها وهي ترى ان ولي امرها قد انفق عليها الكثير ولا يزال ينفق . فموافقتها في هذه الحال موافقة عاطفية هي مكرهة عليها في حقيقة الامر . اما اذا كان للبنات اموال اخرى غير الصداق واذنت البنات ان يؤخذ من تلك الاموال فينفق منها في هذا السبيل فلا ارى في ذلك مانعاً ولولي الامر ان يستعين بذلك حسب رغبته وموافقتها واذنها بالصرف .

وهكذا يتضح انه لا طريق في جميع الاحوال الا ان يسلم الصداق كاملاً الى صاحبه وبعد ان يستقر في يدها وملكها ، وتبتعد عنها الاحوال العاطفية ، والمؤثرات الخاصة للمناسبة الخاصة ، ثم تستقر في وضعها الجديد استقراراً ثابتاً . بعد كل ذلك اذا شاءت ان تطيب عن جزء منه نفساً للزوج او للاهل حق لها ذلك ، وحل لهم ان يأكلوه هنيئاً مريئاً . ولما كانت العادات المستحكمة تصبح قواعد للسلوك بين الناس ، لا يستطيع الشخص العادي الانحراف عنها ، فان هذه العادة اصبحت متحكمة ، واصبح ولي البنات يعتبر نفسه صاحب الحق في الصداق والتصرف فيه . وحتى بعض الاولياء المعتدلين او من يريدون ان يظهروا بمظهر الاعتدال والزاهة يقبضون الصداق ثم يسلمونه او يتظاهرون بانهم

يريدون ان يسلموه الى بناتهم في تلك الظروف التي تلاحظ
البنات بكل احساسها ما يعدها لاهلها لها ، وينفقونه في سبيلها ،
وفي الحين الذي تكون مشاعرها على اشد ما تكون عليه من
الاهتياج والتأثر فترده على امها لانها غالباً هي الطريق المباشر
الذي يصلها منه الصداق والتي غالباً ما تكون متوقعة لذلك
منتظرة له فتفرح لهذه الفرصة التي اتاحت لها مبلغاً من المال
تنفقه في وجوه تحافظ بها على مظهرها ومركزها بل لقد
تطلب من البنات التنازل عنه اذا لم يخطر لها ذلك اما بأسلوب
صريح او بإيحاء لها .

وموقف الفتاة من رفض الصداق ورده الى اهلها في ذلك
الحين هو موقف صادق منها ، ولا يمكن ان نتوقع منها غير
ذلك اولاً لانه هو ما جرت به العادة لركام من السنين لا
يعرف له عدّ حتى اصبح امرأ طبيعياً لا جدال فيه ثم لانه
هو السلوك الذي يوحى بل النبل والوفاء والعرفان بالجميل
وهي صفات يندر ان تخلو منها فتاة في تلك السن وفي تلك
المناسبة .

ومع كل ذلك فلو ان الصداق وصل الى الفتاة عن غير
طريق الاب او الام وفي غير فترة هيجان المشاعر والاحاسيس
وتغلب العواطف ، ولم ترافقه الطلبات او الايحاءات .
لاحفظت به وهي جد مسرورة ، وتفكرت الف مرة في
طريقة الاستفادة به .

ويتضح من هذا ان العادة السابقة قد تغلغلت في المجتمع

بحيث نتجت عنها آثار خطيرة في الموضوع ، فاصبح اولياء
البنات يعتقدون ان الصداق حق لهم يتصرفون فيه وان البنات
انفسهن هن ايضاً صرن يعتقدن ان الصداق ولو انه دفع من
اجلهن الا انه حق لاوليائهن لهم ان يتصرفوا فيه كما يشاؤون
وحتى عندما يسلم اليهن يرين انه من واجبهن ان يرددنه
اليهم لانه حقهم .

ولا شك ان يد الاصلاح يجب ان تتولى هذا الشأن
فرسم الحدود والحقوق المترتبة عليها .

والى ان نجد الاب البر النزيه الذي يعرف واجبه في
الاتفاق على بنته والى ان نجد البنت التي تعرف اين تبدأ
وتنتهي الحقوق ، وتفهم المعنى والحكمة التي من اجلها
اعطيت مالاً أحل لها به الاستمتاع برجل اجنبي عنها .
وتفرق بين الاحتفاظ بهذا المال والتصرف فيه ، وبين البر
بالاب وطاعته والاحسان اليه والوفاء له . الى ان نجد ذلك
الاب الذي يناقش موضوع المهر على انه حق خالص لبنته
لا يستفيد منه مادياً ابداً .

والى ان نجد البنت التي تستمسك بمهرها وتحفظ بحقها
ولا تتنازل عنه قبل ان تملك التصرف فيه

الى ان يكون كل ذلك فان تلك العادة تبقى جاثمة على
صدر المجتمع ، والمهور خاضعة لجشع الآباء والتغالي فيها سبيلاً
للحمقى والمغفلين ، يسلكونه بعيون مغمضة ويقودون اليه ذوي
الرووس الفارغة من الرجال والنساء حتى يتردى فيه الجميع .

التعجيل والتأجيل في الصِّدَاق

يقسم بعض الفقهاء الصِّدَاق الى ثلاثة اقسام :

١ - نقد وهو الصِّدَاق الذي يدفع نقداً حاضراً في مجلس العقد .

٢ - معجل وهو الصِّدَاق الذي لم يحضر الى مجلس العقد ولم يدفع فيه ولكنه يدفع قبل الدخول على كل حال ويسميه بعضهم مقدم الصِّدَاق .

٣ - المؤجل وهو الذي يتأخر دفعه الى ما بعد الدخول والاصل ان يكون محدوداً بأجل يدفع فيه ويطلق عليه بعضهم لفظ مؤخر الصِّدَاق اذا لم يحدد له اجل . واغلب الفقهاء يرون ان الصِّدَاق على نوعين : معجل وهو الصِّدَاق الذي يدفع قبل الدخول سواء كان حاضراً في مجلس العقد او لم يكن حاضراً ولو تم على دفعات ولا شك ان النقد يدخل في ذلك

اما المؤجل فهو الذي تأخر دفعه الى ما بعد الدخول وكلمة « مؤجل » تعني انه مربوط بأجل فاذا حل الاجل

وجب دفعه ولا ينبغي ان يتأخر عن ذلك ولكن الناس درجوا على عدم تحديد أجل للمهر المؤجل . فرأى بعض الفقهاء ان الصداق الذي لم يحدد له الاجل يكون اقصى أجله الموت او الطلاق . كما استعملوا كلمة المقدم والمؤخر بدلاً من المعجل والمؤجل . والدافع الحقيقي الى تقسيم الصداق الى معجل ومؤجل انما هو حالة الزوج الاقتصادية ، فاذا كانت حالته الاقتصادية لا تمكنه من دفع الصداق كله طلب اليه دفع ما يسهل عليه وأخر الباقي الى حالة الايسار ديناً مترتباً بذمته يجب عليه الوفاء به في اجله ان حدد له اجل والا فمتى ايسر واستطاع .

والمفروض ان ينص في العقد على جميع هذه الاحوال فيذكر الصداق الكامل ويذكر ما دفع منه عاجلاً ويذكر ما اجل منه ويحدد له الاجل .

ولكن تساهل الناس في المعاملة وتغلب العادات عليهم وتقليدهم لمن مضى جعلهم يقسمون الصداق الى قسمين معجل ومؤجل دون بحث او نظر الى حالة الزوج واستطاعته المالية أو حتى رغبته في ذلك . ولا الى قيمة الصداق المادية هل هي من الثقل بحيث تستدعي التخفيف على الزوج بتأخير دفع بعضه ام انها من التفاهة بحيث لا تحتل التفكير في مجرد التأجيل . وصار المأذون الشرعي عندما يدعى لعقد قران يجري على ما تعود من تقسيم الصداقين ويقر ذلك في بعض الاحيان دون سؤال الطرفين وانما يكتب في بادى الامر على

صداقين معجل ويسأل عن قيمته وموئل ويسأل كذلك او يضع العبارة المحفوظة المتداولة بين الناس منذ عهد غير معروف « مثلها مثل بنات عمها »

وقد جرت العادة ايضاً عند الكثير ان يستلم الاب الصداق المعجل ويتصرف فيه ، اما الموئل فيبقى عند الزوج ولا يدفع ابداً . اللهم الا في بعض حالات الفراق والخصام اما في حالات الانسجام والوثام . فان الزوجة غالباً ما تستحي فلا تطالب زوجها بموخر صداقها ، اما حضرتها فان ذاكرته الضعيفة لا تذكر ابداً انه بقي عليه دين لم يدفعه الى صاحبه . ذلك الدين هو صداق امرأته الذي استحل به معاشرتها والاستمتاع بها .

وغلبت هذه العادة الناس فاصبحوا يقسمون المهر الى قسمين : معجل يحتفظ به الاب ويتصرف فيه وموئل ويحتفظ به الزوج ولا يدفعه الا في حالات نادرة وهكذا تزوج المرأة وتنجب ما شاء الله من الاولاد ، ولم تأخذ شيئاً من الصداق . وبتأثير العادة اصبح الناس يعتقدون انه يجب ان يكون في الصداق قسم موئل . حتى عندما يكون الزوج قادراً على دفع كل الصداق ومستعداً له ، وحتى عندما تكون قيمة الصداق الموئل تافهة لا تستدعي التأجيل . بل لقد بلغ من الجهل وتغلب العادة في بعض الجهات الى انهم لا يذكرون قيمة الصداق الموئل وانما يشيرون الى انه كصداق بنات عمها وعندما ترجع الى عقود بنات عمها وبنات

عماتها وبنات خالها وخالاتها وبنات القرية جميعاً فإنك لن تجد شيئاً محدداً بل انك تجد نفس العبارة مكررة في كل عقد . ونتج عن ذلك انه حتى في حالة الفراق والحصام فان النساء من هذا النوع لا يطالبن بمأخر الصداق لانه مجهول وانما يطالبن بالنفقات او ما شابه ذلك من الحقوق

ونظراً لتشعب العادات وتداخل الاساليب في المعاملة ، واختلاف تصرفات الناس وسلوكهم في التعامل ، ولما للصداق من اهمية باعتباره وسيلة استحلال الاستمتاع بين طرفين كانا اجنيين . ولابعاد كل شبهة عن تعكير الرباط المقدس ، الرباط الذي ينبنى عليه تكون الاسرة المسلمة النظيفة ثم الامة المسلمة التي هيأتها ارادة الله لهداية البشرية وقيادتها ، فانه ينبغي ان تراعى توجيهات الاسلام في هذا الموضوع وان يحرص عليها . وان يحرص على دفع الصداق كاملاً قبل الدخول الى صاحبته لا عن طريق ابيها او امها او من تخجل منه وتتأثر به وانما مع يد أمينة توصله اليها . فاذا كانت حالة الزوج لا تساعد على دفع المهر كله معجلاً ووقع الاتفاق على التأجيل فيجب ان يكون الاجل محدداً معروفاً وان تكون هي عالة بذلك التحديد موافقة عليه . واحسب انه مما لا يجري في نسق مع روح الاسلام ان يترك هذا الدين بدون تحديد زمن .

ومن المضحك قول الفقهاء في هذا الباب انه يحل اجل الصداق المؤجل بدون تحديد بالموت او الفراق .

وماذا تصنع به عند الموت ؟

قال بعض المؤرخين ان امير المؤمنين عثمان امر ان يدفع لابن مسعود عطاؤه المتأخر وهو يحتضر فلم يقبله وقال له :
منعته عني حياً وتدفعه لي ميتاً ؟

وهكذا نفعل ، نمنع المرأة حقها طول حياتها وما مربها من ظروف فاذا انتقلت الى رحمة الله قلنا للزوج قد حل الاجل فادفع مهر البكر التي تزوجتها منذ خمسين عاماً الى ورثتها .

لا شك انه تصرف مضحك محزن .

عَادَات تَتَسَرَّبْ

عندما ينحرف مجتمع عن سبيل الهداية ، ويعزف عن التمسك بالاسس التي وضعها دينه لشؤون الحياة ، ويستوحي سلوكه من جوانب لا ترتبط بالاسلام ، ولا تنقيد بروحه العامة ، فانه حينئذ لا يجد حداً يقف عنده ، فيسير متخططاً يميناً وشمالاً ، كل خطوة منحرفة تسلمه الى خطوة اكثر ابتعاداً . ويتجه كل يوم وجهة تزيد انحرافاً وضلالاً . وتلحق به اضراراً فوق ما لقيه من اضرار . وتزيد في توزع قوته ، وتشتت وحدته ، وتحكم الرغبات والشهوات الفردية في شؤونه . فينسى المشاكل الاصلية في حياته ويستفرغ جهده في حل المشاكل الفرعية التي تنجم كل لحظة حتى تنقطع الصلة بينه وبين اصل الطريق ، ومبدل المسير .

كانت في المجتمع الليبي بالنسبة لموضوع الزواج وتوابعه عادات وتقاليد حسنة ، منها ما هو مأخوذ من الاسلام كتاباً وسنة ، ومنها ما هو مقتبس من سلوك المهتدين من المسلمين . ومنها ما جاء به العرف ولا يتنافى مع الروح العامة للاسلام .

وكان يجب على هذا المجتمع ان يحرص على مثل هذا ويحافظ عليه ، وكان في هذا المجتمع ايضاً عادات غير صالحة ، وتقاليـد بعيدة عن الاسلام ، وسلوك منحرف وضعه العرف او اقتبسه من جهة من الجهات . وكان على المجتمع ان يتخلص من هذه العادات والتقاليد والاعراف السيئة ويتطهر منها .

غير ان الذي حدث ان هذا المجتمع المسلم لم يسلك هذا المسلك الرشيد وانما اختار ان يسلك مسلكاً آخر ينقصه الوعي والدراسة والتخطيط فحافظ على كثير من العادات السيئة و اضاف اليها اسوأ منها وابتعد عن روح الاسلام . كما انه عزف عن بعض العادات الطيبة واعرض عنها وأهملها . وهذا بالنظر ان المسلك العام . اما بالنظر الى قضايا المهر والزواج فقد بدأت تتمدد عادات كانت محصورة في مستويات محدودة فصارت تنتشر وتنتشر ، وتحمل في انتشارها الواناً من الاضرار الاجتماعية كما بدأت تسرب البنا عادات ربما كانت أصولها داخلية مع المصائب الكثيرة التي جاء بها الاستعمار واعوانه ، وتلقفها ابناؤنا على انها دليل الحضارة والتقدم وتلقف الآباء بعضها على انها دليل الذكاء وسعة الحيلة وتلقف آخرون بعضها على انها اهتمام بضمان المستقبل واتخاذ للاحتياجات اللازمة لصون الحياة . وثبتت لقدمي المرأة في بيت الزوجية . او تسليحها مادياً في معترك الحياة اذا هبت عليها الزواجر

والاعاصير . ومن هذه العادات المتعددة والمتسربة ما يلي :

- ١ - شروط في المهر .
- ٢ - شروط في التأثيث او تجهيز البيت .
- ٣ - عقد القران في المحلات العامة .
- ٤ - شروط تحسب على الصداق وليست منه .
- ٥ - تماثيل من الذهب .
- ٦ - مواقف سلبية .
- ٧ - ازواج صوريون .

شُرُوطُ فِي الْمَهْر

من ابرز العادات الزاخرة ، التي تتسرب داخل المجتمع اليوم ، وتنتشر في كل اتجاه ، ومن اخطرها في عرقله الزواج هذه العادة التي عنوت بها هذا الفصل . وقد يكون العنوان غير دقيق ولكنها سوف تتضح للقارى الكريم في المناقشة التالية :

يتقدم فتى الى اسرة فتاة يطلب يد ابنتهم ، ويتشاور افراد الاسرة ويستشيرون الفتاة ويدرسون موضوعه فلا ينكرون منه شيئاً . شكله مقبول ، ووضعه الاجتماعي حسن ، وحالته الاقتصادية او عمله يدعو الى الاطمئنان ، وليس فيه فيما يبدو عيب يرد به مثله ، فيوافقون .

ولا شك ان الفتى وهو يتقدم في الخطوة الاولى الى اسرة الفتاة ليخطب ابنتهم ، لا يستطيع ان يسألهم عن الجوانب المادية ولا يتعرض الى شروطهم عليه فليس ذلك من اللائق ولا من المعقول ، وقد يحسن بهم الظن الى ابعد الحدود فيعتقد انهم انما استجابوا له لتقديرهم لشخصه ، واعتبارهم انه

سوف يحقق السعادة لبنتهم دون ما نظر الى جانب آخر .
وفي نفس الوقت عندما يعلن ولي الامر موافقته لا يستاغ
ان يخبر خاطب ابنته بشروطه عليه من اول خطوة . وهكذا
تحصل الموافقة دون التعرض للجانب المادي مطلقاً ، وتبدأ
الزيارات والهدايا ويسمع بالحطبة الاقارب والاباعد ويقرب
موعد الزفاف ويشرع في مناقشة المشاكل المادية فتبرز
الحلاقات بين وجهتي النظر على اوسع مدى .

يتقدم ولي البنت بتحديد مهر معجل يتناسب مع مصاريفه
عن اعداد البنت للزفاف ، ولا شك انه يرى ان هذا المبلغ
من حقه هو أن يأخذه كتعويض عما انفق في تجهيزها . وتسمية
هذا المبلغ مهراً او صداقاً هو في الحقيقة تسمية مجازية ، وكان
الاولى ان يسمى بالتعويض عن خسائر الاب او ما اشبه ذلك .
وبعد ان يضمن لنفسه تعويض خسائره او بعضها على الاقل
يتقدم بالشرط الثاني وهو الصداق المؤجل يدفعه الزوج في
حالة وقوع الشقاق والفراق بينهما ، ويغالي الاب في هذا
الشرط ويتشدد ما وسعته المغالة والتشدد لانه يعتبر ان هذا
ضمان لمستقبل البنت . فهو من ناحية قيد يغل يد الزوج عن
الطلاق ، ومن ناحية اخرى اذا استطاع الزوج ان يكسر
هذا القيد ، ويوقع الطلاق ، ويدفع المبلغ ، فان ذلك المبلغ
يساعد المرأة مادياً على نوع ما من الاستقرار فاما ان تستفيد
منه في الاتفاق ، واما ان تستغله اذا كان ينفع للاستغلال ،
واما ان تغري به فتبني بسببه بيتاً زوجياً سعيداً تسعد فيه

وتأمن ، وتمسح به مرارة الطلاق وما نتج عنه من آلام .
وهذا الصداق المؤجل في نظرهم لا يضر الزوج ابداً
ما دام محتفظاً بأسرته لانه لا يدفعه الا في حالة الطلاق ، اما
في حالة الاستقرار والاستمرار والوفاق فلا حق للزوجة في
المطالبة به . ولا يجب على الزوج دفعه .

والموضوع يحتاج الى النقاش من عدة زوايا .

١ - هل يصح ان يسمى هذا المبلغ - الذي يشترط دفعه
عند الطلاق فقط - مهراً او صداقاً ؛ وهل هذا التصرف
يجري مع السلوك الاسلامي المسموح ؟ في الواقع انا لا استطيع
ان اسمي هذا المبلغ بهذه الطريقة مهراً او صداقاً ابداً . ولهم
ان يسموه غرامة ، او عقوبة من اجل ايقاع الطلاق . او ان
يسمونه شرطاً . او ما شابه ذلك .

ان المهر هو حق للمرأة ترتب بذمة الرجل يجب ان يدفع
لها في الحال او في المستقبل اذا لم يتيسر الدفع في الحال ، مع
توافر نية الدفع عند الرجل والا دخل تحت طائلة الوعيد في
قوله صلى الله عليه وسلم : « ايما رجل تزوج امرأة ينوي
ان لا يعطيها من صداقها شيئاً مات يوم يموت وهو زان . »
ولا شك ان ما يسمى بالصداق المؤجل في هذه العادة الجديدة
التي بدأت تزحف وتتسع وبدأ الناس يأخذون بها ، تتوافر
فيها نية عدم الدفع . فهو مبلغ لم يشترط ليدفع للمرأة كحق
لها ترتب عن الزواج حتى يدخل في حساب الصداق ، وانما
اشترط كعقوبة للرجل ترتب على الطلاق وتدفع للمرأة في

هذه الحال .

ولا شك ان الاحكام التي تترتب على الطلاق غير الاحكام التي تترتب على الزواج . وبالتالي فتسمية هذا المبلغ صداقاً او مهراً مغالطة ووضع للاشياء في غير مواضعها ويجب ان يتنظر اليه في حكم الشريعة الاسلامية كشرط اشترط عند العقد لا كحق للمرأة باعتباره صداقاً ، ثم ينظر هل تتوافر فيه الاسس المطلوبة لصحة الشروط فيقبل ، ام ان تلك الاسس لا تتوافر فيه فيلغى ويرفض ، وهل يؤثر في عقد النكاح ويعطل المصلحة منه ؟ ام لا تنتج عنه هذه الآثار ، وهل يمكن ان يعتبر خداعاً للمرأة وتغريباً بها ، وتضييعاً لحقها ؟ ! ام ليس له كل هذه النتائج ؟ وبالجمله فيجب ان يوزن بالموازين الاسلامية الدقيقة حتى يحكم عليه الحكم السليم .

٢ - ان الآثار التي تترتب عليه قد تسيء الى المرأة اكثر مما تساعد عليها وتكون سبباً في ضياع حقوقها اكثر مما تكون عامل ضمان لتلك الحقوق ، ذلك ان الحياة الزوجية اذا تعذرت بين طرفين فاضطرا الى الفراق وكانت حالة الزوج المالية لا تسمح له بدفع المبلغ المشروط . فانه يلجأ الى الاعراض عن الطلاق ظاهراً ويظهر التمسك بحالة الزوجية القائمة ولكن سلوكه اليومي ، وتصرفه في البيت ومعاملته لتلك المرأة يضيف الى المشاكل السابقة مشاكل جديدة . وهو فوق ذلك يزداد حقداً على حميه وسخطاً على هذه المرأة القابعة في

البيت تنتظر ورقة الطلاق ومعها ورقة لحساب ضخم . يزداد
 حقداً على حميه . لانه خدعه واستغله واستغل حسن نيته ،
 فكلبه بهذا القيد الثقيل - فيما يرى - ويزداد سخطاً على
 تلك المرأة لانه يرى فيها حية رقطاع استطاعت ان تلعب
 عليه وتستغل جبه لها لتكسب منه ، وكلما فكر في هذا ازداد
 حنقاً وغيظاً وسوء معاملة ولكنه يبعد الطلاق من حسابه لان
 الطلاق وسيلة للدفع ، وقد يقول قائل ان هذا المسلك لا يلجأ
 اليه الا اللثيم . والجواب على ذلك ان ولي البنت عندما اشترط
 هذا الشرط لم يثق في صهره ، وافترض فيه اللوم من اول
 يوم ولذلك حاول ان يقيده بهذا القيد المادي والقيود المادية
 مهما كانت محكمة لا تقوى على ربط انسان وانما يقيد
 الانسان دينه واخلاقه . وتستمر الحياة في هذا البيت بين
 شخصين لا يربطهما شيء غير خوف احدهما من الدفع
 وتوقع الآخر وصول اللحظة الحاسمة للحصول على المبلغ .
 وتمضي بهما الحياة مرة كرية ثقيلة ، يلتقيان كل يوم في
 البيت لا كما يلتقي الحبيبان على شوق ومحبة وعطف وحنان ،
 وانما كما يلتقي غريمان في حلبة رياضية ، كل منهما ينظر
 الى الآخر في حق ، ويستثيره كل ما يبذر منه من حركة
 او كلمة او اشارة ، ولا يهنا ولا يرتاح الا عندما ينحني
 احدهما من الحلبة . ولكنه مع كل ذلك فهو يعتمد على
 الصبر ، ويتحكم في الاعصاب ، ويحتمل ما يلقي في سبيل
 ذلك ، لان النصر انما يتحقق في الجولة الاخيرة لمن استطاع

منهما ان يسيطر على نفسه اكثر .

ولا شك ان المرأة التي فرضت على الحياة مع رجل بهذا القيد وحده على هذا الوضع القلق لا يمكن ان تكون سعيدة ، وان الأب اخطأ في حقها خطأ فادحاً حين ربطها في رجل الرجل بهذه السلسلة الذهبية التي لا تزيد ولا تنقص عن ان تكون قيداً اما ان يتحطم واما ان تنحطم سعادة ركني الاسرة عند ضغطه الشديد وقد يأتي بالنتائج العكسية لما ظنه الاب عندما تكون اعصاب الرجل اقوى فيتغافل عن ابقاع الطلاق وتطالب المرأة به متنازلة عن هذا الشرط وعن غيره من الحقوق .

لقد وضعنا الصورة السابقة على اساس ان الحالة الاقتصادية للرجل لا تساعد على الدفع وقد تكون الحالة الاقتصادية للرجل على احسن ما يرام ويستطيع ان يدفع اي مبلغ لهذا السبب او لغيره ولكنه من لؤم الطبع وشدة البخل ، والمكر السيئ بالمرتبة التي تجعله يتحمل ضنك العيش ، ومرارة العشرة ، ومشاكل الخلاف والشقاق ، حتى تقلق هي من حياة الجحيم وتطلب الطلاق متنازلة عن جميع الحقوق بل ومستعدة احياناً للزيادة عليها وهنا يسارع بالموافقة ويذهب ذلك الشرط هدراً باطلاً لا قيمة له ولا أثر .

٣ - عندما يستعمل الاب كل ذكائه وبراعته فيبالغ في ضخامة الشرط ويستجيب الزوج لذلك . ولكن الحياة الزوجية لا تجري على النسق المأمول ويفكر الزوج وربما

حتى الزوجة في ان هذه العشرة لم تنتج السعادة والهناء والاستقرار ولا بد من التغير . فيقف ذلك الشرط كحاجز متين معترض . فيرى الزوج انه ما دام سيدفع فلماذا لا يترك الزوجة الاولى على حالها ويستعمل المبلغ الذي كان يجب ان يدفعه لها لو طلقها في الزواج من امرأة اخرى ربما وجد معها السعادة . وهو على كل حال لا يخسر شيئاً من الجانب المادي لأنه كان سيدفع هذا المبلغ من اجل الفراق وسيدفع مثله او اقل او اكثر من اجل زواج جديد .

وهكذا يترك الاولى على حالها من حيث الظاهر كاملة الحقوق ولكنها لا ترضى بهذا الوضع فتغضب ولا يهيمه غضبها ثم تطلب الطلاق متنازلة عن الحقوق وتصبح المسألة كأنما هي التي وضعت هذا المبلغ في يده ليطلقها ويتزوج غيرها وتكون النتيجة عكس ما أملت وأمل ابوها

هذه الانماط في السلوك وغيرها ايضاً هي وقائع تترتب على الشرط المغالى فيه الذي يراد دفعه عند الفراق ، ونتائجه غير سليمة في جميع الاحوال . فهو عند الوفاق والوفاء يسقط من الحساب ولا يدفع الى صاحبه ، وهو عند الفراق والخلاف يزيد في اذكاء السخط والشحناء والخصومة ، ويدفع الى العناد والتردد على المحاكم والمحامين مما يستهلكه ويستهلك اضعافه ، ويكون دافعاً للكذب والتزوير والتحايل وخلق المبررات عند الطرفين ، يحاول الرجل ان يثبت انه لم يكن هو سبب الطلاق وانه لم يسع اليه وان السبب في ذلك

انما هي المرأة . ويحاول بكل ما اوتي من براعة الحيلة ،
ولرد الخصومة ان يثبت عليها ذلك حتى لا يلزم بدفع المبلغ
المشروط . وتحاول المرأة بدورها ان تثبت ان الطلاق انما
كان برغبة الزوج واراادته وحتى اذا ما طلبته فانما كانت
مدفوعة اليه ومرغمة عليه وتحاول ان تثبت عليه ذلك بكل
ما عندها من حيل ووسائل ، ليلزمه القضاء بدفع المبلغ
المشروط ولا شك ان ما ينشأ من الخصومات والشحناء
والبغضاء والتباعد بين الاسرتين وما يتبع ذلك من اراجيف
واشاعات واقاويل أقلها حق وأكثرها اباطيل تضرهما وتضر
ابناءهما وتضر المجتمع ضرراً بالغاً ، يجب ان يتفاداه كل
مسلم غيور يهيمه ان يسود الوفاق والمحبة والتعاون بين افراد
كل اسرة .

كَيْفَ نَحْنُاطِلِمُسْتَقْبِلِ الْبِنْتِ

كنت اكتب هذا العنوان وانا متردد ، ذلك ان المستقبل كله بيد الله ، مستقبل الرجل ومستقبل المرأة ، والمؤمنون في تعاملهم يجب ان تغلب عليهم الثقة في الله ، والتفويض اليه . والرضى باحكامه على جميع الاحوال . ان تقديرات الانسان ، ونظراته ، وتشريعاته ، واحتياطاته ، كلها وفي جميع الاحوال قاصرة ، لا تؤمن حياة ، ولا تضمن مستقبلاً والقيود المادية - مهما كانت ، وكيفما كانت - لا تديم حياة زوجية سعيدة ، ولا تدخل البهجة على حياة امرأة مطلقة ، وماذا عساها تغني عنها المبالغ الكبيرة من المال ، عندما تترك بيتها ، ويتشرد اطفالها ، وتعود الى اهلها نزيلة ثقيلة ، ماذا يفيدها ان يدفع لها الزوج - وهو يطلقها - عشرة او مائة او ألفاً او اكثر من ذلك .

لقد كان التفكير السليم ان يسلم اليها المال وهي في بيت زوجها لتعمل على استثماره ، وهي مكفولة شرعاً بجميع نفقاتها ومصاريفها . ان من حق المرأة وهي في بيت زوجها

ان يكون لها مالها الخاص ، يساعدها على استثماره من تشاء
وتختار .

وكان ينبغي لاولئك الآباء الذين يغالون في المهور المؤجلة
— رعاية لمصالح بناتهم فيما يظنون — ان يعتدوا ويقتصدوا
في مطالبهم ، بدلاً من ان يقيدوا دفعها بالفراق كان
عليهم ان يطلبوها معجلة او موجلة محددة ، وعند استلامها
يعملون على استثمارها لمصالح بناتهم بطرق شرعية سليمة ،
فتعود عليهن بالفائدة ، ولا تهرق الزوج في حالة التوتر
فتشحنه بالغضب ، وانما يدفعها في حالة الرضا دون ان تترك
في نفسه ألماً لاي جرح ، وهكذا يدفع الزوج دينه وهو
مطمئن وراض ، وتأخذ المرأة حقها كما فرضه الله وهداه
اليه الاسلام ، فتستفيد منه باستثماره وتتميته وهي مكفولة
مصونة في بيت الزوجية .

على ان الضمان الاهم من كل الضمانات المادية ، انما
هو حسن الاختيار . ان الزوج الذي يقيد دينه ، وتقيد
اخلاقه ، ويقيد كرم طبعه وشهامته نفسه ، هو الزوج الذي
يؤمن معه المستقبل ، وتستقر الحياة ، وتهنأ العشرة ، وترفرف
على بيته ومن فيه السعادة .

ان على الفتاة وعلى وليها ان يحسنا الاختيار ، وعندما
يوفقان في حسن الاختيار فان جميع الاحتياطات الاخرى
لا داعي لها . إذ ان دين الرجل وشهامته وشرف نفسه وكرم
طبعه قيود اوثق — الف مرة — من جميع قيود الدنيا . وكم

من امرأة عاشت سعيدة في بيت دون ان تكون هنالك قيود تربط بها رجلها غير قيود الاسلام السمحة . وكم من زوجين افترقا كما يفترق اي مسلمين في اي عمل وكل منهما يحمل لصاحبه ، رصيذاً ضخماً في المحبة والتقدير ، ومن الاعزاز والتكريم .

ان الشرط الذي يجب ان يشترط على الرجل انما هو ما شرطه الاسلام :

الامساك بمعروف او التسريح باحسان . والتسريح باحسان في هذا المقام لا يعادله اي شرط مما تفتق عنه اذهان المحتالين والماكرين من الناس . لان الفراق اذا كان باحسان فان اسبابه لا بد وان تكون معقولة ومقبولة ومنصفة وان تكون مقنعة للرجل والمرأة على السواء حتى امكنهما ان يفترقا في هدوء ، والاحسان يتحكم في تصرفهما ، ثم ان الرجل الذي يملك عقدة النكاح ، وهو الذي يعلن قطعها يستشعر ان الله تبارك وتعالى قد اثقل ظهره بامانة عظيمة ، واناط باحساسه الانساني ، وضميره الاسلامي واجباً ثقيلاً حين يفارق امرأة كان يظن وكانت تظن انها ستبقى معه في الدنيا والآخرة .

تلك الامانة وذلك الواجب هو احسان الفراق . هو الاحسان الى تلك المرأة عند الفراق ، ولم يشأ سبحانه وتعالى ان يحدد ذلك الاحسان بجزء من ثروة الزوج ، نصف او ثلث او ربع او سدس او غير ذلك . وانما ترك ذلك اليه ، وعلى

مقدار ذكره للعشرة ، واعترافه بحق الصعبة . وتقديره
لمعاني الزوجية في الحياة المشتركة ، وتقديره ايضاً لهذا
الاحكام الالهي ، الذي جعل الاحسان بيده هو وفوضه فيه .
على مقدار ذلك كله يجب ان ينبي الاحسان المادي والذي
يدفع للمرأة عند الفراق وعلى اعتبار كل ذلك يجب ان يحدد
الرجل تلك المبالغ التي لا تكفي تعويضاً عما يلحق المرأة من
جروح في النفس والاحساس .

ثم ان المبالغ المادية التي يدفعها الرجل في تلك الحالة مهما
كانت يجب ان يصحبها التصرف النبيل الكريم ، وان تتم
عن طيبة نفس ، واسترضاء للطرف المتألم من الفراق ،
ومحافظة على المودة التي كانت بينهما ، واستبقاء لها ، وعلى
الروابط المتينة التي كانت تربط بين الاسرتين ، واستدامة
لها ، لان هذه المعاني كلها سوف يحتاجها - احتياجاً ملحاً -
ابناؤهما ومن سوف ينشأ لهما من الابناء بعد الفراق .

ولذلك فقد اشترط القرآن الكريم على الرجل الاحسان
عند التسريح بلفظ الفكرة الدالة على العموم حتى يشمل جميع
انواع الاحسان ، الاحسان المادي بدفع ما يمكن من المال
والاحسان المعنوي باظهار العطف والرحمة والمحبة والحنان
حتى في حالة الطلاق ، والاحسان في التصرف بان يعاملها بنبل
وشهامة ورجولة ويرى ان هذه المرأة التي تفارقه اليوم كانت
تكون جزءاً منه فهي تنفصل عنه للضرورة كما ينفصل عنه
اي جزء من جسمه ثم هي من ناحية اخرى ام لاولاده وام

لاخوة اولاده من غيره وتكفي هذه العلاقة وحدها لان
تسيطر على مشاعره واحساسه ليكون محسناً بجميع ضروب
الاحسان عندما تقتضي ظروف الحياة القاهرة ان يتخلى عن
هذا الجزء المهم من حياته بما كان فيه من حب ومشاعر
واحلام وما تحمله معه من احساس وآلام .

ومثل ما ينبغي للرجل في هذا المقام ينبغي للمرأة . واذا
هما فهما واجبهما من الاحسان في هذا المقام استطاعا ان
يحولا ما يظنه الجاهلون « مأساة » بسبب طلاق . الى تصرف
عادي تقتضيه طبيعة الحياة اختفت فيه علائق خاصة ولكن
بقيت فيه ذكريات عذاب لا تمنحي وحقوق وواجبات
تمتد مع امتداد افراد الاسرة من البنين والاخوة . انه عندما
يكون اللقاء والفراق على استئثار للمسئولية ، وتقدير كامل
للمشاعر الانسانية ، وصيانة للعواطف النبيلة ، ومراعاة
تامة للاحكام والحكم الشرعية ، وتقدير متزن لحقوق الطرفين
عند اللقاء وعند الفراق ، فان مشاكل الحياة كلها تذوب
وتنحل بطبيعتها ولا يبقى لها وجود .

ان المعاني التي يجب ان نركزها في نفس القتي ونفس
الفتاة ، هي المعاني التي تجعلهما يلتقيان بمعروف ويفترقان
باحسان . دون ان نزرع في نفسيهما من اول يوم بذور
الشك وسوء النية ، ودون ان نفرس فيهما الحذر والتوجس ،
ودون ان نضع منذ اللحظات الاولى في بناء الزوجية لبنات
متقلبة غير مستقرة ولا ثابتة ، ودون ان نشعر احداً منهما

انا وضعنا سلاحاً في يده يستطيع ان يتغلب به على صاحبه .
او قيداً يعوقه عن حق التصرف عندما يكون من حقه ان
يتصرف ، ودون ان تدخل في روعيهما انهما مقبلان على
معركة ينتصر فيها احدهما وينهزم الثاني . ان اشعارهما
بالاثنية وهما في بدء بناء الحياة الزوجية من اخطر الامراض
الاجتماعية التي تسببت عنها وتسبب مشاكل لا تدخل
تحت حصر .

ولعل اكثر المآسي التي تولد عنها الطلاق انما نشأت من
هذه الاعتبارات . يوحى اهل الرجل الى الرجل بان يكون
صلباً ، وان يحكم بيته بيد من حديد ، وانه ما من امرأة دخلت
بيت رجل الا حاولت ان تسيطر عليه . ولذلك فان رجولته
لا تكون كاملة الا اذا استطاع ان يجعل من المرأة في بيته
مخلوقاً لا ارادة له ، وتطن هذه المعاني في اذن الفتى ثم تستقر
في ذهنه ، ثم يحاول ان يثبت رجولته بالتحكم من اول يوم
فينفذ تلك الوصايا التي تقول له : اذا لم تنتصر في هذه المعركة من
اول يوم فانك لن تنتصر ابداً . فيبدأ في خلق المشاكل من
اتفه الاسباب .

ونفس التعليمات يوحى بها اهل الفتاة الى فتاتهم . يجب
ان تنتصري على زوجك ، وان تجعليه منه قنطرة تعبرين عليها
الى كل مآربك ، وتصلين الى جميع رغباتك ، واذا لم
تنتصري عليه منذ الآن فانك لن تنتصري عليه فيما بعد ابداً
ثم تتقدم منها الخبيرات ويزودنها بكثير من النصائح في

سلوكها وتصرفاتها الاولى معه ومع أهله ويلقنّها اساليب معقدة وحيلاً بارعة اذا استطاعت ان تنفذها بدقة - حسب رأيين - فانها ولا شك ستكون المتصرة ، ويكون الرجل آلة في يدها تلعب به كيف تشاء . وتنسكب هذه الاحاديث في اذنها البريئة ، ثم تستقر في ذهنها وتنعكس على تصرفاتها فتبدأ المشاكل .

على ان هذه الصور - والحمد لله - بدأت في التناقص والاضمحلال بسبب الوعي الديني والثقافة الاجتماعية العامة من جهة وتطور حياة الاسرة من جهة اخرى .

وخلاصة هذا الفصل ان الواجب الاكيد على الوالدين والد الفتى ووالد الفتاة ان يهتما بتربية ولديهما ، واشباع روجيهما بالدين والخلق ، وان يستثيرا مشاعرهما بالعواطف الانسانية النبيلة وان يدعواهما لذلك ، ويبتعدا عن القيود المادية فان اضرارها اكثر من فوائدها ، هذا اذا كانت لها فائدة . ومهم جداً ان يتقيد المسلم بالسلوك في المنهج الاسلامي الذي رسمه القرآن الكريم وحددته السنة المطهرة وسار فيه خيار هذه الأمة منذ خير العصور حتى الآن .

جهاز البيت

الاصل أن جهاز البيت واعداده من واجبات الزوج فهو المسئول عن ذلك . ولكن بعض الفقهاء يرى انه لا مانع ان تقوم الزوجة بذلك اذا وقع عليه اتفاق او جرى به عرف . ويرى هولاء الفقهاء انه لا مانع ان يخصص الصداق او جانب منه لمثل هذا الغرض وان يجري الاتفاق على ذلك بينهما وحينئذ يكون اثاث البيت ملكاً للزوجة .

وقد جرت العادة في بعض الجهات من مجتمعنا ان تجري الامور على هذا النمط اي ان تتولى الزوجة تجهيز البيت وتأثيثه او ان يجهز بعلمها وتحت اشرافها وموافقتها ويكون ذلك الاثاث ملكاً لها فاذا حصل فراق اخذته .

ويبدو لي ان الواقع الذي دفع الفقهاء الى هذا الرأي هو ملاحظتهم ان البيت بما فيه هو المحضن الذي توضع فيه البيضة البشرية والعش الذي يوضع فيه الطفل عندما يستقبل الحياة والنور في اول يوم من عمره فينشأ فيه نشأته الاولى ولا شك ان من حق الام التي تحضن البيض ، ان تتولى باحساسها

وأمومتها بناء العش الهادىء، وتختار له الريش الناعم والفراش اللين وان تمهد كل ذلك بالاسلوب الذي تراه مناسباً لحياة فراخ زغب الحواصل ليس لهم حول ولا قوة .

فالييت وكل ما فيه انما هو المملكة التي تديرها المرأة لإدارة مطلقة ، ويجب ان يكون كل ما في تلك المملكة خاضعاً لها ، لتتصرف فيه بمحبة الام ومشاعرها واحساسها وباخلاص الزوجة ووفائها وتعاونها بل وتضحيتها . فان البيت لا يكون سعيداً الا بتوافر هذه الصفات جميعاً .

وقد راعى الفقهاء هذا الجانب فاعطوا لها حق التصرف في تنظيم البيت واعداده قبل ان تدخله وتكون ربته . وقد انبنى على هذا الرأي ان تكونت عادة في بعض الجهات من مجتمعا وبدأت تسرب الى الجهات الاخرى .

وجاءت هذه العادة قريية من عادات في امم اخرى ترى ان تجهيز البيت على كل الاحوال من واجب المرأة ، وانتبه بعض شبابنا الى ذلك فلم يفرق بين العادتين ولم يفصل بين البواعث على كل منهما وحسب ان تجهيز البيت من واجب المرأة على جميع الاحوال وما على الرجل الا ان يدفع وللمرأة ان تختار وتشترى وتنسق ، فاذا وقع الخلاف بينهما رجعت الى العش الذي بنته بمشاعرها وعواطفها ودماء قلبها فحطمت ما فيه .

قلت في بعض الفصول السابقة ان المجتمع اذا انحرف عن المنهج الاسلامي في عادة فانما يزداد بعداً وانحرافاً في كل

ما يتصل بتلك العادة .

وقد انحراف المجتمع عن الهدى الاسلامي في اجراء الطلاق واعتبار اسبابه فنتجت عن ذلك اضرار اخرى مادية ومعنوية تلحق الافراد والاسر والمجتمع . كان المفروض في الطلاق ان ينتج عن اسباب ضرورية يقتنع بها الطرفان ثم تتخذ خطوات اتمامه على وعي وفهم وتوذه ، ولكن الذي حدث ان اغلب انواع الطلاق انما تقع عن حالات غضب مستعجل تثور فيه الاعصاب وينتج عنه الحقد والحصومات ومحبة الانتقام . ويسيء فيه كل من الرجل والمرأة التصرف ، ويحذران من يلهب فيهما نار الكراهية والحقد والمزيد من اساءة التصرف ، فيمسك الزوج الحقوق . وتنقلب المرأة الى البيت الذي كان مدرجها وعش بيضها فتعيش فيه تخريباً وافساداً لتنقل ما به من اثاث كحق من حقوقها . واذا بالاثاث قد تحطم نصفه واذا بالبيت الذي كان مبعث انس وجمال وذوق ، اطلال عارية الجدران ، تصفر فيه الريح ، وينعق اليوم .

هل استفادت المرأة من صداقها الذي جهز به بيت

الزوجية ، في الحالتين حالة الوفاق وحالة الفراق ؟

الحقيقة انها لم تستفد منه في كلتا الحالتين ففي حالة الوفاق والراضي يستهلك الاثاث بالاستعمال ويذوب شيئاً فشيئاً دون ان يعود عليها اي كسب من الجانب المادي . وفي كثير من الاحيان تكون في اشد الحاجة الى مبلغ بسيط من

المال فلا تجده عند زوجها . او لا تسمح نفسه باعطائها اياه
ولا تستطيع ان تأخذ قطعة من ذلك الاثاث لتبيعها وتستفيد
من ثمنها ولو فعلت ذلك لفتحت على نفسها باباً من الشر قد
يتهي بالطلاق .

ويتضح من هذا ان الصداق الذي يوضع في الجهاز لا
تستفيد منه المرأة مطلقاً وليس له الا نتيجة واحدة هي ان
يكون وسيلة انتقام من الرجل عند القراق ، ذلك انها بازالة
الاثاث وتخريب البيت ربما تكون خففت عن نفسها الم الطعنة
الجارحة طعنة الطلاق ، اما ان يعود عليها منه شيء فهذا ما لم
يبد لي في اي حال من الاحوال .

لا شك ان التصرف الطبيعي ان تأخذ المرأة صداقها
المستقل عن البيت واثاثه وان يقوم الزوج بتجهيز بيته
واعداده وبذلك تستفيد المرأة من صداقها والتصرف فيه
حسب احتياجاتها ورغباتها الخاصة ، ويتكفل الزوج بجميع
مسئلياته في تكوين الاسرة ، واذا حدث ان وقع القراق بينهما
فان الزوجة تكون قد اخذت صداقها من زمان وتصرفت فيه
كما يحلو لها ولم يبق لها الا الحقوق المترتبة عن الطلاق حسبما
قررتها الشريعة الاسلامية اما البيت والاثاث الذي وضع فيه ،
ما استهلك منه وما بقي صالحاً لاستعماله يبقى على حاله
للزوج لانه ملكه . وبهذا تجنب المرأة من الخسارة المادية التي
تلحقها بسبب نقل اثاث قديم مستعمل يتحطم الكثير منه .
وتجنب موقف الانتقام وافراغ الحقد على اشياء جامدة ،

وتجنب مظاهر الشماتة وتوسيع شقة الخلاف ، ويصان البيت من التخريب والافساد . ويقطع على الشيطان سبيل من سبل الفتنة واثارة البغضاء ويجاد وسائل ومبررات للكيد والخصومة . ان عادة قيام الزوجة بتجهيز البيت وتأثيثه - رغم ما فيها من مراعاة عواطف المرأة - استغلال لحساسيتها . وحبها الغريزي لترتيب البيت وتنسيقه ، إعفاء للزوج من أهم مسؤولياته وواجباته .

والحق الذي يجب ان تنكمش امامه هذه العادة وتذوب هي ان تأخذ المرأة صداقها كاملاً تتصرف فيه كما تشاء وان يقوم الزوج بجميع واجباته من الاتفاق على البيت وما فيه ومن فيه وان تختفي من مجتمعا تلك الظاهرة الغريبة القبيحة عندما يتقرر الفراق او الطلاق فتتهجم الزوجة ومن معها على البيت يحطمونه تحطيماً ثم يكسرن الاثاث على عربة حنطور او سيارة شحن فتجره الى ايها متقمة في ظنها من زوجها وقد انتقمت مع ذلك من مالها ومن نفسها .

ان هذه الصورة الشوهاء يجب ان تختفي من مجتمع مسلم نظيف وان يحرص الزوج والزوجة اولاً على سلامة اللقاء وان لا يلجأ الى الفراق الا عندما تحتمه ضرورة لا مناص من الاستجابة لها وليس من الضرورة قطعاً الاحداث اليومية من قصور او تقصير في بعض الاعمال مما يثور له احدهما ، كما انه ليس من الضرورة اختلاف وجهتي النظر الى شيء من الاشياء ولا حدة النقاش . ولا الملاحظات على التصرف في

أعمال البيت فان هذه الاشياء كلها وما شابهها تذوب مع
المران وطول الزمان .

فاذا كان الفراق ضرورة لا مناص منها وجب ان يتم
في هدوء ووافق وعلى الاسلوب الذي اختارته السنة لابقائه
من مراعاة حالة خاصة تكون عليها المرأة، وهي ان تكون في
طهر لم يقع فيه اتصال جنسي بينهما وان يتم كل ذلك في
الاطار الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (او
سرحوهن باحسان) ولا شك انه اذا وجد الاحسان انتفت
جميع صور العنف . ومن وجد الاحسان قيداً تقيد .

مكان العقد

كان العقد يتم في بيت الزوج في بعض الجهات من وطننا العزيز وفي بعض الجهات كان يتم في بيت الزوجة . وكان يحضره اولياء الزوجين والمأذون والشهود في مأدبة بسيطة غداء او عشاء ، وتسربت عادة الاسراف حتى الى هذا ، فبدلاً ان يتم العقد في بساطة وخفة ، اتسعت المأدبة وكبرت ، حتى صارت في بعض الجهات تشمل الحي أو القرية كلها بمن فيها رجالها ونساءها ، يحكم اثناءها بالاعدام على عدد غير قليل من الانعام ، وعلى بعثة كمية غير قليلة من الشراب والطعام ، وبذلك انتشرت في المجتمع وسيلة اخرى من وسائل الاسراف ، حسبت من غلاء المهور والمهور منها بريئة .

ولم تتوقف العادة على هذا الاسلوب في المدن بل اتخذت منعرجاً آخر . فبعد ان كان العقد يتم في بيت احدي الاسرتين ضاقت البيوت عن المدعوين ، واصبحت لا تستوعب الاعداد الهائلة التي ينبغي ان تحضر هذه المناسبة

فإنه السلوك - دون تفكير - الى إيجاد حل للمشكلة . وكان الحل موجوداً فقد جاء مع ما جاء من البلايا في ركب الاستعمار وتلقفته الايدي التي تعز بكل ما جاء من الخارج كمظهر للحضارة والرفي . وصار الفندق او النادي بديلاً للبيت . ان عقد النكاح او اعلان الخطوبة ربما كان يتم في الفنادق والنوادي في بلاد اخرى تبعاً لعاداتهم او ظروفهم او طرق حياتهم وتعاملهم ، ولولعنا نحن بالتقليد تقليد كل ما يأتي من الخارج باعتباره اقرب الى مظاهر الحضارة مما عندنا ، نتلقفه ونسير به ، ولا شك ان هذا السلوك لا يأتي في اول الامر على ايدي من يفكرون تفكيراً متزناً ، ويقدرّون مسافة خطواتهم في كل حركة ، ويزنون الامور بالميزان الصحيح ، وانما يأتي على ايدي ناس يملكون اموالاً للاتفاق ، ومحبة للظهور ، ورغبة في التعالي ، واستخفافاً بالمستوى العادي لحياة مجتمعاتهم . وتطلعاً الى ان يصفهم الناس بالتفوق على شعوبهم . ويعنيهم بالدرجة الاولى ، ان يظهروا ويتألقوا ، فيحضر الصحفيون الى حفلاتهم ، وتحدث عنهم الجرائد ، وان تنجح حفلاتهم بكثرة الغادين والرائحين ، وتوزيع البساتم الصفراء والبيضاء ، وتقديم التهاني اللطيفة والانحناءات الظرفية ، والحركات الرشيقة الخفيفة . فان هذا في نظرهم دليل الحضارة ولو كان بين صاحبها وبين الحضارة ما بين العصر الحجري وعصر الذرة . وماذا يهم ما دام الشخص يملك مالاً يستطيع ان يوجر

به افخم الفنادق او افسح النوادي ، ويستطيع ان يحشر جسمه في احسن بذلة ، ويخفق عنقه بألف ربطه ، وتفتر شفتاه عن ألمع بسمه ، ويدعو الناس فيستجيبون له ويحضرون اليه بالملئات .

لا شك انني لا اعرف اول من فتح باب هذه العادة وما احسب ان احداً يعرف ذلك اليوم . ولكنه ولا شك في ذلك ان اول من تقدم لفتح هذا الباب وخرج من بيته ليعقد قران ولده او بنته في فندق او ناد يكون رجلاً قد وهبه الله تبارك وتعالى وفرة في الثروة ، وصفاقة في الوجه ، وتكبراً على الناس ، واحتقاراً للمجتمع الذي يعيش فيه ، وتعالياً عليه ، ثم محبة وتقديراً للمجتمعات الغربية التي يقلدها ويقتبس منها . ويأخذ عاداتها بحسنها وقبيحها ، ولا شك ان تلك المجتمعات الاولى انما هي مجتمعات ذوي السلطان والنفوذ ، واصحاب السلطان والنفوذ هم افواج الاستعمار الوافدة على البلاد برذائلها . فاقتبس اذئاب الاستعمار منها هذه العادة فيما اقتبسوا من رذائلهم ، واختفت الصورة الاولى وصارت العادة تتسرب وتشيع حتى تصبح في يوم من الايام هي العادة الاصلية ، بل لقاد اصبحت عادة لها وزن في مدننا الكبيرة يلتجئ اليها كثير من الناس لا سيما اصحاب الثروة والجاه واصبح مما لا يعد غريباً ان تقرأ وصفاً في جريدة عن خطوبة تمت في الفندق او النادي الفلاني كما انه ليس من الغريب ان تأتيك بطاقة دعوة الى حضور حفل القران في النادي او الفندق .

وانتقلت - وربما بصورة ابلغ واشد - تلك الاموال التي كانت تدفع في الحى في مظاهر الاطعام الى مبالغ تصرف في النوادي والفنادق إيجاراً للمحل وإيجاراً للعمل ، وثمناً مضاعفاً اضعافاً كثيرة للمشروبات والحلويات التي تقدم هناك . وقد تفوق النفقات هنا بكثير ما ينفق في البيت حسب العادة الاولى . ولا داعي لهذا ابدأ اللهم الا ارضاء للغرور ، وتقليد وهمي لحضارة زائفة ، وتشبه بمستعمرين غاليين كانوا يجتمعون على صدر هذه الامة ، يجاهد المخلصون في صبر وثبات للتخلص منهم ، ويعمل الاذئاب في وقاحة وغباوة لتقليدهم والاخذ عنهم ، فلما انتفضت الامة الكريمة ، ورمت يخطهم القنطرة الى ما وراء البحار ، بقيت منهم روائع تركم الانوف ، وتعكر الهواء الصافي ، يتشبث بها ابناؤنا ممن لم يمنح ذوقاً قويمًا وحساً سليماً على انها عطر وهي روائع نتنة متخلفة عن جثث نتنة

وعلاج الموضوع انه يجب على المجتمع المسلم التنظيف في البلد المسلم التنظيف ، ان يعود الى السلوك الاسلامي التنظيف ، بان تكون حفلة العقد في بيت الزوج او الزوجة في مظهر بسيط تنتفى منه مظاهر الاسراف والمناسفة والتفاخر وان يقتصر ذلك على اولياء الاسرتين والمأذون والشهود وبعض الصلحاء من اهل القرية او الحى يساعدون على تقريب وجهتي النظر لو وقع تباعد بينها أو خلاف . اما ما يرتكبه بعض الناس اليوم من مظاهر الاسراف

الذي يدعو اليه التمجيد والفخر والخيلاء وإضاعة المال دون
داع الى اضاعته فليس من هدى الاسلام ومع ان الاسلام
اجاز اقامة الوليمة ودعوة الناس اليها الا انه وصفها بأنها شر
الطعام وسوف اذكر لك في آخر هذا الفصل بعض الولايم
التي تمت في عهده صلى الله عليه وسلم لتكون نبراساً يهتدي به
المهتدون من امته في مختلف العصور، ولك ان شئت ان تضاعف
كميتها بمقدار ما بيننا من قرون ولو فعلت ذلك لم تصل الى
درجة الاسراف .

اما العادة الثانية العادة الداخلة على مجتمعنا فيجب ان
تختفي وتذوب . انها في مغزاها وروحها ومسلكتها ومظهرها
وكل تصرفاتها بعيدة عنا لا تنسجم إلا مع الغرب ومن يزحف
وراءه من المقلدين . ان الاسلام حريص حتى في العادات ان
يكون فيها جانب للروح لا يمكن ان يهمله ابداً الا من تخلى
عن الاسلام وبعد عنه . والخروج بالعقد من البيت الى النادي
أو الفندق خروج به عن مكانه الطبيعي الى مكان ليس له به
علاقة البتة . ولست اذيع سرّاً ولا أتجنى على احد اذا قلت
ان اتمام العقد مع انه مصلحة اجتماعية قريبة من القرب يرجو
القائمون به والشهود عليه ثواباً من الله تبارك وتعالى وانه في
بعض البلاد العربية التي تورطت في هذه العادة وعادات
اخرى اقبح منها يضيفون الى المشروبات التي تقدم بتلك
المناسبة مشروبات مما أنص على تحريمه . ومما تعود به بعض
المدعويين وربما صاحب الدعوة نفسه ، لان الوازع الديني
عندهم ضعف الى الحد الذي تسيطر عليه العادة ويتحكم
فيه تقليد الاجانب ممن يستحل ما لا تستحل . ويسلك سبيلاً
غير السبيل التي يجب ان نسلكتها اذا سرنا على هدى وبصيرة .

تماثيل من الذهب

قد يبدو هذا العنوان غريباً في هذا الموضوع ، وهو لا شك غريب - ولكن الحقيقة اني شغلت ذهني الكليل كثيراً في عنوان مناسب لما سوف اتحدث عنه في هذا الفصل فلم اجد انسب من هذا العنوان بل لقد تحدثت فيه مع بعض الاصدقاء فاقترح بعضهم «عجول الذهب» واقترح آخرون «دمي من الذهب» ولكنني فضلت العنوان السابق ولو انه لا يؤدي المعنى الذي قصدته من جميع جوانبه .

وتماثيل الذهب هذه او عجول الذهب انما اقصد به طائفة من السيدات قد عدمن الشعور الانساني والكرامة البشرية ، والقيم الاخلاقية ، كما عدمن العقل النير والفكر السليم وفهم حقائق الحياة كما تجري بها الحياة . ولم يبق في تقديرهن شيء سوى الذهب . وقد كان عدد هذه التماثيل او العجول الذهبية قليلاً جداً وفي الحواضر فقط . ولكن هذا المرض كغيره من الامراض بدأ يسري ويستشري وعدد المصابات به يكثر والداء يمتد في البيئات التي كانت سليمة ، لا سيما

وان المرأة دخلت ميدان الكسب ، واصبحت الكثيرات منهن يحصلن على مبالغ طيبة ، تكس الفارغات منهن به ذهباً على ذهب ليتسنى لهن ذات يوم ان يغطين به اجسامهن المترهلة الثقيلة ، وتصل الواحدة الى مرتبة تماثيل الذهب او عجول الذهب فتجلس على الكرسي الخاص الذي توضع عليه تلك التماثيل في حفلات الاعراس . تخور كما تخور تلك العجول الذهبية خواراً يطفى على السلوك الطبيعي وعلى الاعتدال وعلى كرامة الروح الانسانية .

في بعض الافراح تجري عادة لثيمة ذلك انه يوضع عدد من الكراسي في صدر المجلس لا تستقر عليها الا سيدات قد استطعن ان يضعن على اجسامهن من الحلي ما يكدن يعجزن عن حمله ، ولا شك ان زعيمة ذلك المجلس او نجمة الفرع إنما هي تلك السيدة التي استطاعت ان تضع على جسمها اغلى واكثر مما يضع غيرها . فتتجه اليها الانظار وتتناولها الالسة بحديث الاعجاب . فيركبها الغرور والاعجاب بالنفس ، وتمتلىء بالفخر والانتفاخ امتلاء يجعلها ترتفع في نفسها عن بقية الناس لانها امرأة من ذهب بينما غيرها لا يزلن نساء من لحم ودم . ولا شك ان لها زميلات يشاركنها في تفكيرها وعقلها ويزاحمنها على مكانتها ومكانها . فغلبتهن بالكثرة ، فهن في الواقع ممن الناحية الانسانية من طبعها ومعدنها ولذلك فهن يحرصن على ان يبلغن الى تلك المرتبة الساحقة في نظرهن .

ان ذلك المظهر الذي يميز تلك التماثيل او العجول الذهبية
عن بقية النساء في تلك الحفلة قد يكون مبعث حسد لبعض
الفارغات من نفس معدن التماثيل ، ثم شعوراً بالاسف
والحرمان لأنهن لم يجدن ما وجدته أولئك ، ثم رغبة في
منافستهن والتفوق عليهن وعملاً للحصول على الذهب بأي
طريق ومن اي طريق - هذه عادة ذميمة لثيمة كانت
محصورة في نطاق ضيق وعدد محدود من الأسر ، ولكنها مع
تحسن الاحوال الاقتصادية في المجتمع ، وتمكن المرأة من
الاكتساب ، ودخول مبالغ طيبة الى يد المرأة التي لا تشعر
بمسئولية في المجتمع وانما تعتقد ان ما يدخل يدها من عملها
هو ملك خالص لها فتكس به حلياً وجواهر - سوف تشيع
وتنتشر بالمنافسة والتقليد الاعمين . ويصبح من هم ذوات
الدخل ان يصرفن اكثر ما يمكن منه في هذا الباب .
وسوف تعمل الفارغات بسرعة على نشر مثل هذه العادة
بل ربما اصبحت موضوع منافسة وتطاحن وعراك ، وسوف
تصبح تلك الكراسي ككراسي المناصب في الدول المتأخرة
لا يحتلها الا ابرع الناس في السرقة والاستغلال ، وابعدهم
عن طهارة اليد والضمير . وابتخلهم بالتضحية والقداء ،
واجبنهم عند المصادمة واللقاء . وأجرؤهم على الكذب والدجل
والبهتان .

ان المرأة التي تغفل عن انسانيته ، وتغفل عن الجمال
الذي وهبه الله لها في خلقها وخلقتها ، وفي فكرها وعقلها ،

وفي دينها وسلوكها ، ولا ترى من نفسها الا دمية يزيناها
في اعين الناس ما يعلق عليها من جواهر ، ويغلبها في نظرهم
ما يوضع عليها من ذهب ، ويرفع من قيمتها لديهم ما يناط
بها من حلي . ما هي في الحقيقة الا عجل سمين كمعجل بني
اسرائيل . بل ان المرأة التي ترضى لنفسها هذا المظهر ،
وتنحدر الى هذا المستوى فتعتقد ان مكانتها ترتفع بين
زميلاتها بما تضع على جسمها من معادن غالية ، لهي مخلوق
قد تخلى عن انسانيته الى تمثال جامد ليست فيه حياة وان تحرك .
وحرى بالمرأة التي انحدرت الى هذه الوهدة ان تلغى من
حساب البشر وتضاف الى الدمي الموضوع في المتاجر نموذجاً
لجسم الانسان ولكنه في حقيقته آلة ميتة باردة لعرض البضاعة .
ومن المؤسف حقاً ان الالسنه بدأت تلوك سيرة المرأة
العاملة المتكسبة في هذا الموضوع والمرأة العاملة هي عنوان
المرأة المثقفة في هذا المجتمع ، والمرأة العاملة عندنا لا تخرج
غالباً عن ميدان التربية والتعليم او ميدان الصحة والتمريض .
والمرأة في كلا الميدانين يجب ان تكون قدوة في التصرف
السليم . ولكن بعض الالسنه تلوك سيرتهن وتزعم انهن
يشاركن مشاركة فعالة في توسيع نطاق العادة السابقة وانهن
بما يكسبن من اموال يتسابقن على اسواق الحلي والمصاغ ،
بل يوجد من يقول ان كثيراً من اجتماعاتهن في المدارس
تنتقل من ميدان مناقشة المسائل التربوية الى اسواق حامية
وجدل صاخب في مواضع الحلي والموضة ومنهن من تحضر

الى المدرسة وقد اثقلت اعضاءها بالقيود الثقيلة من المعادن
الغالية . وسواء كانت تلك الالسة صادقة كل الصدق او
كانت كاذبة فان الذي يرجوه المجتمع من المرأة العاملة
الكاسبة وهي عنوان المرأة المثقفة ان تكون قدوة صالحة وان
تتصرف بذوق سليم ، وان تحاول ان تفرض الذوق السليم
بما لها من مكانة مرموقة في المجتمع وان تعمل المريات منها
على انشاء اجيال من الفتيات الواعيات اللواتي يعرفن المحافظة
على الجمال البسيط الطبيعي ، ويعرفن الاعتدال في استعمال
وسائل وادوات الزينة ، ويؤمنن ان الجمال الحقيقي انما
ينبعث من الاشعاع الذي يصدر عن الروح والقلب والعقل
فينعكس على المظهر الخارجي ، وان البريق الذي تعكسه المواد
الجامدة من الخارج مهما كان قوياً فانه لن يحترق الحجب
ولن يصل الى القلب والروح والعقل .

ويبدو لي ان خير ما يمكن ان يمنع ذلك الشر من الزحف
والتوسع ، وان يسمح هذا العار عن المرأة المسلمة الكريمة ،
وان يصرف ذهنها عن التفكير في الظهور بالجمال الجامد
الزائف . هو ان تجتهد في الاحتفاظ بانسانيتها قبل ان تغتالها
المادية الجوفاء ، وقبل ان ترتكس في حماة المنافسة البغيضة .
وقبل كل ذلك يجب ان تقف الفتاة المتعلمة اليوم ، والفتاة
التي انشأها التربية الاسلامية على الذوق السليم والخلق القويم ،
والفتاة التي تفرق بين الحقائق والباطيل والجواهر والاعراض
لمحاربة تلك العادة الذميمة وجسها في نطاقها الضيق ثم القضاء

عليها . ان الفتاة تستطيع ان تقوم بالكثير في محاربة العادات
الفاسدة سواء كانت تابعة من الداخل او زاحفة من الخارج .
انه ليس بعيداً عن واجبها اذا حاولت ان تقنع تلك
التمائيل بالتخلي عن هذه العادة الوثنية والرجوع الى انسانيته
كما انه لا يعسر عليها ان تنقد الفساد في المجتمع النسوي
بلسان حاد ذرب وتكشف عن عيوبه ومضاره ، وتعمل
متكاثفة مع زميلاتها بكل الطرق والوسائل على القضاء عليه
ولو بأسلوب السخرية اللاذعة والنكتة البارة والتقد المصيب
واظهار الاشمئزاز من هذا التصرف المادي البليد الذي يغفل
عن جمال الذات ويستورد الجمال من الصائغ .

ان للمرأة الحق في ان تستعمل وسائل الزينة وادوات
الزينة وان تظهر بها في مجتمعاتها ولكن باعتدال ودون ان
تغطي تلك الوسائل على شخصيتها وتدفع محاسن حقيقتها تحت
ركام من المعاجين والمساحيق والمعادن .

وادوات الزينة من ذهب وجواهر مهما كانت براءة
وغالية فهي لا ترفع من قيمة المرأة الا اذا اريد بيعها بمعادنها
كما تباع العجول المزينة ، والحيول المرسجة .

ونعبد المرأة المسلمة ان تنحدر الى وهدة الرقيق والسلعة .
وان تعزّز بغير ما اعزها الله به من صفات وسجايا .

أَزْوَاجُ صُورِيُوت

كلمة الزوج تطلق على الذكر والانثى فيقال للمرأة زوج
كما يقال للرجل زوج وهذا هو الاستعمال الصحيح في اللغة
وبه جاء القرآن الكريم^(١) ووردت السنة المطهرة .
الا انه لكثرة الاستعمال وتيسيراً للفهم على الناس وجرياً
على ما تعودته الالسنه من التفريق بين المذكر والمؤنث في
الالفاظ جرى العرف باستعمال كلمة الزوجة للانثى وتخصيص
كلمة الزوج بالذكر . وليس في هذا باس على كل حال
وكل ما اريد من هذه الملاحظة ان يعلم القارىء الكريم ان

-
- (١) « وقلنا يآدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . » البقرة ٣٥ .
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداً من قنطاراً فلا تأخذوا
منه شيئاً . » النساء ٢٠ .
« يا ايها النبي ، قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين
استمكنين واسرحكن سراحاً جميلاً . » الأحزاب : ٢٨ .
« واذا تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك
واتق الله . » الا حزاب : ٢٧ .

العنوان يشمل الذكر والانثى على السواء .
الزوج الصوري سواء كان ذكراً او انثى هو ذلك الزوج
الذي يتحلى بعدم المبالاة بسلوك زوجه فيهمله اهمالاً كاملاً
يترك له الحبل على الغارب يتصرف كما يشاء ، دون ملاحظة
او نقد او نقاش .

قد يكون الدافع الى هذا السلوك من احدهما هو سعة
افقه ، وانفساح مداركه ، واعتزازه بالحرية الشخصية في
التصرف ، وثقته الكاملة في صاحبه ، وهذه الصفات لا شك
محمودة ، ولكنها اذا بولغ فيها حتى تجاوزت حدها وحتى
صارت اهمالاً وعدم مبالاة او صارت عدم اهتمام بالمصالح
التي تربط بينهما . فاتها تنبني عليها اضرار كثيرة على الاقل
من الناحية الاجتماعية . بل ان البيت نفسه يتغير عن وضعه
من بيت للزوجية الى مكان يلتقي فيه زميلان كل ما يربط
بينهما انما هو المائدة عند الاكل والفراش عند النوم .

ولعل القارئ الكريم لم يتضح له ما أقصده حتى الآن
فارجوه ان ينظر معي الى ما اعرضه في الامثلة الآتية :

ان كل زوج تقتضيه ظروف الحياة ان تكون له اعمال ،
وان يرتبط بمواعيد ، وان يكون له اصدقاء يلم بهم من حين
الى آخر ، وان يجتمع مع بعض الناس لشأن من الشئون ،
وقد تكون له هواية معينة يهتم بها ويحافظ على القيام بها . هذه
طبيعة الحياة ، وليس من حق المرأة ان تقف في وجه زوجها
تمنعه من هذا ، الا اذا كانت حمقاء لا تعرف كيف تتصرف

او كانت تسيطر عليها غيرة سوداء تنهش قلبها كلما اخفى
شبح زوجها عن ناظرها ولا شك ان هاتين الحاليتين حالتان
مرضيتان شاذتان .

ولكن اذا كانت هواية الزوج ان يتسلى بلعب القمار
مثلاً او ان يرتاد دور اللهو التي يضع فيها الشرف والمال
او كان اصدقاؤه الذين يلم بهم ممن يتعاطون المسكرات
والمخدرات او غير ذلك مما يحرمه الشرع ويمنعه القانون
ويستهجنه العرف ، او حتى اذا لم يبلغ الى ذلك بان كانت
هواية وتسلية بريئة لا اثم في مزاولتها هي نفسها ولكنها
تسبب له تعطيلاً عن عمله او تضيقاً لحقوق ربه او اسرته ،
او حيلولة دون القيام بعمل مشعر مفيد للأسرة والمجتمع
والوطن .

إن للزوجة في مثل هذه الحالات بل عليها ان تناقش
زوجها في هذا السلوك وتحاسبه على هذا الانحراف ، وتستقد
عليه ان يتمادى في الخطأ ويصر عليه ، وتحاول بحزم ان
تمنعه من المضي في الضلال .

فاذا زعمت انها تمجد الحرية الشخصية ، وان لزوجها
الحق في ان يعمل ما يشاء ، وانها لا تبالي بتصرفه لانها تحب
منه ان يمارس هواياته بحرية كاملة فهي مخطئة ، وجد مخطئة ،
وعليها ان تغير هذا السلوك منها ومنه . لان تصرفه ذلك
سوف ينعكس على البيت والأسرة والمجتمع وسوف يكون
مجلبة للاضرار الفادحة تكون هي واطفالها اول من يكتوي

بنارها ويحترق بلهيبها . وكما ان للزوج سلوكاً اجتماعياً
فكذلك للزوجة سلوكها الاجتماعي ونحن دائماً حين نتكلم
عن الزوج والزوجة انما نتكلم عنهما في اطارهما المسلم في
المجتمع المسلم والامثلة التي نسوقها انما نأخذها من هذا
الاطار .

ان لكل زوجة واجبات اجتماعية عليها ان تودبها
كتبادل الزيارات مع اسر صديقة او عيادة مرضى ، او
حضور مناسبات افراح او مآتم تقتضي وشائج المجتمع
حضورها ، او زيارة الاقارب والاطلاع على احوالهم وما الى
ذلك او الذهاب الى الاقارب والجيران للثروة والتسلية في
اوقات فراغ .

ومع ان من واجب الزوجة ان تستأذن زوجها في مثل
هذه الحالات فانه ليس من حق الزوج ان يمنعها من القيام
بواجبها الاجتماعي ويقف حائلاً دون ذلك الا اذا كانت
هنالك اسباب معقولة ومقنعة .

وسلوك الأزواج هنا يختلف فمنهم المتشدد الذي لا
يسمح لزوجته بالخروج واداء الواجبات الاجتماعية مما يجعله
في موقف الظالم المستبهد الذي يقطع الرحم ويجعلها في موقف
الأسيرة المظلومة المضطهدة ، ويكون لها كثير من المشاكل
التي ينصب عليها فيها اللوم والنقد العنيف ، وكثيراً ما تضطر
الى خداعه والخروج خفية عنه لترد بعض ما تعلق بذمتها من
حقوق وقد تضطر الى قطع علاقات ذات قيمة بالنسبة اليها

وهي تحس بألم الظلم والحرمان .
ومنهم المعتدل الذي يجب ان تستأذنه زوجته ويجب ان
يعرف ابن تذهب ولكنه لا يمنعها من واجباتها الاجتماعية ،
ولا يحول دونها ودون كل تحرك ترغب فيه ما دام لا يتج
عنه ما يضر بهما او يسيء اليهما .

ومنهم من يأذن لها الاذن العام المطلق دون تحديد او
تكون معه في موقف من لا يحتاج الى اذنه ، ولا تحس لراية
حساباً ، تخرج متى تشاء وتعود متى تشاء وتذهب الى اي
مكان تشاء .

ان على الزوج في هذه الصورة ان يعرف الشيء الكثير
عن سلوك زوجته وتصرفاتها ، فان زعم انه يمجّد الحرية
الشخصية ، وان لزوجته ان تعمل ما تشاء ، وانه لا يبالي
بتصرفاتها لانه يجب لها ان تمارس هواياتها ورغباتها بحرية
كاملة . فهو مخطيء وجد مخطيء . وعليه ان يغير هذا السلوك
منه ومنها ، لان تصرفها ذلك سوف ينعكس على البيت
والاسرة والمجتمع ، وسوف يكون مجلبة لاضرار فادحة .
يكون هو واطفاله اول من يكتوى بنارها ، ويحترق بلهيبها .
ان الزوجين اللذين يصل بينهما التحرر والانطلاق الى
هذا الحد هما في الحقيقة زوجان صوريان كل ما يجمع
بينهما مائدة و فراش و احياناً يتعطل حتى احد هذين الجامعين
او يتعطلان معاً .

ان من حق الزوجة وواجبها ان تعرف الشيء الكثير

من احوال زوجها وسلوكه خارج البيت ومن حق الزوج
وواجبه ان يعرف تصرفات زوجته وسلوكها . فاذا بلغ
بينهما الاهمال وعدم الاهتمام الى ان صارت الزوجة لا تهتم
بمعرفة شيء عن زوجها فهي في الحقيقة قد تخلت عملياً عن
مهمة الزوجة الامينة المخلصة والام المربية الحنون ، وربة
البيت الذكية الواعية الحريصة على مصلحته ومصلحة اهله ،
ذلك انها مسئولة امام نفسها وامام اسرتها وامام زوجها وامام
الله على رعاية هذا البيت ، وتوفير اسباب السعادة والهناء
فيه . ولا شك ان من اهم اسباب السعادة في اي بيت ان
تكون اخلاق الزوج وسلوكه قويمه وان يكون دخله المادي
عائداً الى البيت فاذا حاول الزوج ان ينحرف عن السلوك
القويم كانت الزوجة اول من يقع عليه الواجب في تقويم
زوجها وتنبيهه الى اخطائه وتحذيره عما قد يقع فيه ان تتمادى
في ضلاله ، اما الاسلوب والوسيلة الى ذلك فيتعلق بذكاء
المرأة ولباقتها وفهمها لنفسية زوجها فهماً صحيحاً ، واذا
بلغ بينهما الاهمال وعدم الاهتمام الى ان صار الزوج لا يسأل
عن زوجته ، ولا يهتم لتصرفاتها في المجتمع ، ولا يبالي
بدخولها وخروجها ، وحضورها وغيباتها . فان هذا الزوج
في حقيقته قد تخلى عن مهمته كزوج لتلك المرأة ، ورب
لتلك الاسرة ، واصبح عبارة عن خادم مطيع ، يشغل
بياض يومه وبعضاً من ليله ، ليوفر المطالب المادية لبيت
يلتقي فيه بامرأة من حين الى حين . ولا شك ان هذا المكان

الذي تكفل الزوج بالقيام بنفقاته المادية لا يصح ان يسمى بيتاً ولا افراده ان يكونوا اسرة . ان على الزوج يقع الجانب الاهم في تعريف الزوجة بواجبها من الاستقرار في البيت ورعاية افراد الاسرة . والاضطلاع بمهامه والاشراف على جميع شئونه حتى ينشأ الاطفال في نظام اسرة فيها حقوق وواجبات ، لا في حجرة فندق فيها تفرق ولقاءات .

وحتى في آدابها لبعض الواجبات الاجتماعية التي تقتضي طبيعة الحياة ان لا تمنع المرأة منها يقتضي الواجب على الزوج ان يعرف تصرف زوجته في تلك الاحوال ، واذا وجد في ذلك انحرافاً عن السلوك القويم او الدين الكريم بادر الى تقويمها لانه هو اول مسئول عنها امام نفسه وامام المجتمع وامام الاسرة وبين يدي الله .

قد تذهب الزوجة الى ماتم باستئذان او بدون استئذان - وهذا من حقها - ثم تعود الى البيت والى زوجها فاذا بها مجرحة الحدود ، ممزقة الثياب ، مقطعة العقود ، مكسرة الاساور والخواتم ، كانما كانت في معركة حامية الوطيس . فينظر اليها الزوج في اشفاق ولكنه لا يهتم بذلك ، وقد لا يسألها عن مدى قرابة المتوفى لها او له او لهما . وعن الباعث لهذه اللوعة والأسى والحزن عليه ، وقد لا تكون لهما اية قرابة بهذا المتوفى رحمه الله ورضي عنه .

وقد تدخل البيت على زوجها بعد ذلك مرحلة ضاحكة مع انها قد جرحت خدودها ، ونكشت شعرها ، ومزقت

ثيابها واسالت دمعها ودمع غيرها كأنما كانت في مسرحية عليها ان تمثل ذلك الدور . ومع ذلك فان الزوج المحترم يستقبلها في هدوء وهي على هذه الصفة كأنها لم تكن تسبح في المعصية وتخوض في الاثم ، وترد على الله حكمه على خلقه ، وتنغمس في المنكر وتدعوا اليه وتعمل به . وتناقض هذه الصورة صورة اخرى لا تقل عنها بشاعة وقبحاً هي صورة المرأة التي تستولي من ميزانية الاسرة على نصيب اللبوة تكدس بها انواعاً من الحلي والثياب تغص بها الخزائن والصناديق فاذا سمعت بعرس قد لا يمت لها بسبب اسرعت الى حضوره مكدسة على جسمها فوق ما يتحمل من انواع اللباس والحلي ، وكل ما يهمها ان تدخل في انتفاخ واعتماد واعتزاز ، وتقول للناظرين والناظرات من يجرو فيزعم انه يملك مثل ما املك او يلبس مثل ما البس .

مثل هؤلاء الأزواج الذين اطلقنا عليهم لفظة «ازواج صوريون» سواء كانوا ذكوراً أو اناثاً هم المحضن المتعفن الذي تتوالد فيه جرائم العادات السيئة وتنمو وتنتقل وتنتشر . ان الزوج الذي يرى زوجته تسلك هذا المسلك ، وتتصرف مثل هذا التصرف ، ثم لا يسألها عنه ، ولا يهتم لها ، ولا ينتقد تصرفها بعنف وحرارة ، ولا يحاول أن يعدل من سلوكها ، هو احد رجلين . اما زوج فقد كرامة الرجولة ، وتخلّى عن مهمته كزوج وراع ، وفقد الاحساس بالمسئولية حتى اصبح لا يفرق بين ما يجب ان يعمل ، وما يجب ان

يترك ، واما زوج مغلوب على أمره ، يعرف ان ذلك السلوك انحراف ، ولكنه لا يملك الشجاعة التي يجابه بها المرأة ويطالبها بالاعتدال والتقيّد بقيود الدين والحلق ، وفي نفس الوقت تكون (الست) من النوع الوقح المتسلط المغتر الذي يريد ان يفرض نفسه على كل شيء .

وتسمية احد هذين الرجلين باسم الزوج شرف لا يستحقانه وانما يمكن ان يطلق عليهما اسم تابع او مساعد او موظف عند الزوجة او ما اشبه ذلك . وتسمية هذا النوع من النساء باسم الزوجة هو ايضاً شرف لا تستحقه وكرامة لا تعلق بها ، وانما يمكن ان تسمى غانية ، او عارضة ازياء او ما اشبه ذلك . ان الزوجة الفاضلة يجب ان يكون لها ذوق رفيع واحساس اجتماعي دقيق ، وفي الحين الذي تخضر فيه المآثم والآداب والحفلات والاعراس تحرص ولا شك ان تكون جميلة واثيقة ومحبوبة ومشركة فعلياً في التعزية وتهوين المصاب وبعث التأسي في النفوس اذا كانت في مأثم وفي التهنة وبعث وسائل الانشراح والانبساط والفرح اذا كانت في عرس او حفلة ، ولكنها في كل ذلك تتصرف تصرف الذكية العاقلة المتزنة ويتم منها أداء واجبها في كل ذلك بلا اسراف ولا مبالغة ولا انغماس في المعصية والآثم ، وهي في كل ذلك ترعى سمعتها وحقوق اسرتها وحقوق زوجها في نفسها ، وماله وعرضه . وليست رعايته في عرضه ان تحافظ على فراشه فقط فلا تدخل اليه اجنبياً ولكن من رعايتها له في عرضه

ان لا تصرف تصرفاً سيئاً الى سمعته ويدع اللسنة تلوكه
فتصفه بالبلادة او الغفلة او الضعف او بانه مغلوب امامها
لا يأخذ ولا يعطي ، واحسب انه ليس بشرف للمرأة حين
يقال عنها انها تقهر زوجها وتذله وتركبه كما تركب الحمار ،
وتسخره كما تسخر الكلب لان هذا يعني بالنسبة اليها انها
متزوجة بحمار او كلب وان اولادها ابناء لحمار او كلب
ولا توجد امرأة عاقلة ترضى لنفسها او لاولادها هذه المرتبة
في الحياة .

ومن هذا النوع من الاخطاء ما ذهبت اليه شاعرة عربية
تعز بالنسب وتفتخر به حين قالت :

وما هي الا مهرة عربية سليمة افراس تحلها بغل
فان ولدت مهرأ فله درها وان ولدت بغلاً فجاء به البغل
وما قيل عن المرأة في الصور السابقة يقال عن الرجل .
فلا يشرف الرجل ابداً ان يقال عنه انه مستبد قاس لا تعرف
الرحمة ميلاً الى قلبه ولا يشرفه ابداً ان يقال عنه انه استطاع
ان يجعل من زوجته مخلوقاً ضعيفاً مسلوب الارادة عديم
الشخصية ، مقتول الكرامة ، يعاملها كما يعامل البقرة
او الجاموسة لان هذا يعني انه متزوج ببقرة او جاموسة ،
وان اولاده ابناء لبقرة او جاموسة . ولا يوجد رجل عاقل
يرضى لنفسه ولاولاده هذه المرتبة الدنيا في الحياة . ان بيت
الزوجية يجب ان يجمع بين شخصين تربط بينهما الالفه
والمحبة والاحترام والتشاور ، ودراسة المشاكل واتخاذ

الحلول السليمة لها واهتمام كل واحد منها بتصرف الآخر
وسلوكة في البيت وخارج البيت لان اي اذى ينزل باحدهما
سوف ينال الآخر قسماً وافراً منه على يد المجتمع ، على ان
القوامة في جميع الاحوال هي للرجل . ولذلك فليس من
حقه فقط ان يحدد من سلوك زوجته حين تتصرف تصرفاً غير
لائق بل من واجبه ذلك ، وعندما تخوض في الاثم بمناسبة
حضور مأتم ، او تشترك في تقليب عادة سيئة تضر بالمجتمع ،
عليه ان ينهاها عن ذلك ويمنعها منه ، ويحول دونها ودون
السخط على القدر ، والاشتراك في اعمال تؤدي الى الكفر .

سَلْبِيَّةٌ وَاسْتِسْلَامٌ

السلبية والاستسلام وعدم الاهتمام سواء كانت من فرد او مجتمع او دولة ، هي امراض خطيرة ، ونتائجها وخيمة العاقبة ، واضرارها تعود على الجميع . ولعلاج هذا المرض الخطير فرض الله سبحانه وتعالى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلهما السبب الثاني مع الايمان لافضلية هذه الامة على غيرها من الامم « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . فما يحق للمسلم ولا للجماعة المسلمة ولا للدولة المسلمة ان ترى منكراً يرتكب ثم تقف محمقة فيه بعينين مفتوحتين بليدين لا يعنيهما من الامر شيء .

ان الاسلام يطالب من يرى منكراً سواء كان فرداً او جماعة او دولة ان ينهى عن ذلك المنكر وان يعمل على صدّه باسرع ما يمكن وااقوى ما يمكن واذا لم يتمكن الفرد او الجماعة من القيام بهذا الواجب قياماً مباشراً خشية ان يتج عن ذلك ضرر اكبر من الضرر الناتج عن المنكر نفسه ، فان

الدولة لا يحق لها ان تسكت عن منكر يرتكب في بلاد تبسط عليها نفوذها وتجري احكامها .

ان الفرد اذا لم يستطع تغيير المنكر الى معروف ، فلا اقل من اظهار السخط على فاعله والاشمئزاز منه ، والنقد العنيف لتصرفه .

وفي هذا الموضوع ، موضوع الافراح والمنكرات التي ترتكب فيها وفي المجتمعات النسوية خاصة ، يقف الفرد والمجتمع والدولة من ورائهم موقفاً سلبياً بارداً كأنما الامر لا يعينهم من قريب او بعيد .

ولعل بعض الصور التي عرضناها في الفصول السابقة ، تعطي امثلة واضحة للسلبية الكاملة وفي نموذج ما سميناه بالتماثيل او العجول الذهبية وما سميناه الازواج الصوريون وما اطلقنا عليه عارضات الازياء ، انواع من السلوك تكون او تنشر عادات سخيفة تكبد المجتمع الواناً من الاضرار ، واشكالا من التخلخل الاقتصادي بسبب رغبة طائفة من الحمقاوات القارغات اللواتي اعوزهن الجمال النفسي الذاتي فاردن ان يعوضنه بما يجلبنه من الخارج ، وأمام هذه الرغبة الجاحمة من حمقاوات فارغات يقف الزوج ويقف الاب ويقف الفتى والفتاة اللذان يعينهما الامر اكثر من غيرهما ، ويقف المجتمع كله موقف المتفرج الذي تؤلف المسرحية وتمثل له ثم يدعى للمشاهدة والتفرج فقط دون ان يكون له اي علاقة باي فصل من فصولها او دور من ادوارها . ولو

ان المرأة العاقلة الفاضلة حاولت ان تغير في تلك المنكرات
لغيرت منها ، ولو ان الزوج لاحظ سلوك زوجته وما
احدثته في المجتمع من تصرفات حمقاء وانتقد منها ما يعاب
عليها لعدلت في سلوكها ، ولو ان الاب نصح بنته لاستجابت
لنصيحته ، ولو ان الفتاة المتعلمة العاقلة استعانت بزميلاتها
وحاولن جميعاً ان يحاربن تلك العادات التي تؤثر في حياتهن
ومستقبلهن لانتصرن وكن عنصر اصلاح هاماً ، ولو ان
المجتمع وقف بقوته موقفاً ايجابياً من اي عادة لا تنسجم
مع مصلحته كمجتمع اسلامي لكان لموقفه اثر ولتضاءلت
تلك العادات وزالت ولانكمشت هي ومن يقوم بها
ويدعو اليها .

انه لا توجد مشكلة تستعصي على الحل ولا توجد عادة
غير خاضعة للاصلاح والتقويم والتهذيب .

ان السلبية وعدم المبالاة امراض اجتماعية اشد فتكاً
بقيم الامة من الجرائم والامراض ، ووجوب الاهتمام بامور
المسلمين من اعظم الركائز التي يدعو اليها الاسلام وان كانت
الاولوية تختلف من شخص الى شخص . وفي محيط الاسرة
يلقى الجانب الالم على الاب والام ثم على الزوج والزوجة
ثم على الاخوة وفي محيط المجتمع يلقي اولاً على اصحاب
الرأي واصحاب العلم وذوي المراكز الاجتماعية وعلى
الناس جميعاً وعندما يقوم الفرد والمجتمع بواجبه كاملاً ،
فان الدولة لا تجد سبباً كافياً للتدخل لان الامور تسير على

ما يرام . ولكن عندما يتخلى الافراد او الهيئات الاجتماعية عن واجبهم تصبح الدولة مسؤلة امام الله عن اقامة الحق ، وتهذيب الخلق . وقطع دابر الفساد . ومن المؤسف ان الدول العربية والاسلامية الحديثة تقف في هذه الجوانب موقفاً سلبياً فهي تتخذ تشريعات للعقوبات والتأديب في جميع مشاكل الحياة حتى التافهة منها لا سيما التي تتعلق بالسياسة . ولكنها تقف موقفاً سلبياً مقيتاً بالنسبة للعادات الفاسدة سواء نشأت في الداخل او زحفت من الخارج كأنها لا تعلم انها حين حملت امانة الحكم حملت معه عهد الله وميثاقه ان تكون راعية صالحة للامة حفيظة على مصالحها ، قيمة بشؤونها مربية للمتحرف منها ، معاقبة للمجرم فيها . محسنة الى من احسن مجازية لمن اساء بقدر اساءته . لا تنافق ولا تداهن ولا تحابي . انما يجب ان تكون ساهرة على المجتمع حتى اذا انحرف منحرف عن النهج الاسلامي كانت له بالمرصاد وردته بالحسنى ، فان تشبث بالباطل عركت اذنه .

ولولا وجوب مثل هذه المواقف من الدولة على ما يجد في المجتمع لطبق كثير من الاحكام ، وما جدوى احكام التأديب والتعزير والحدود وغيرها اذا لم تستعمل للتطبيق في مراعاة آداب المجتمعات وسلوكها حتى في الاكل والشراب واللباس .

كَلِمَةُ الْخِتَامِ

- الآن وقد انتهيتما ايها القارئان الكريمان من قراءة هذه
الفصول أود أن أعرف رأيكما في بعض ما جاء فيها .
- فما رأيك انتِ ايها القارئة الكريمة فيما يلي ؟ :
- ١ - في الفتاة التي تختار زوجها على اساس من الجمال او
المال او المنصب فقط مهملة اخلاقه ودينه .
 - ٢ - في الصداق المعجل الذي يدخل الى جيب الاب او
يد الام فلا يصل منه شيء الى صاحبة الحق .
 - ٣ - في الصداق المؤجل الذي لا يحدد له زمن ، فيبقى في
خزانة الزوج المحترم الى يوم القيامة .
 - ٤ - فيما يطلقون عليه اسم الصداق المؤجل ويشترطون
لدفعه ان تقع النكبات على رأس الزوجة فاذا وقعت
عليها ربما حصلت على شيء منه بعد تعب وخصام
وإلا ضاع عنها ولم يعتبر من حقها .
 - ٥ - في الفتاة التي تقبع في بيت ابويها تنتظر الفرج وكلما
تقدم اليها عريس لم تنطبق عليه مقاسات الابوين
صرفوه .

- ٦ - في الفتاة التي يقومها اهلها بالذهب ، ويدخلون في روعها انها اغلى من غيرها فتصدق ذلك وتتصرف بايحاء من هذا المعنى .
- ٧ - في الفتاة التي لا يعجبها شيء في الزوج او بيت الزوجية فتبدأ في النكد لتقطع الرباط المقدس .
- ٨ - في الخدعة المحكمة التي يوهمون فيها الفتاة بانهم يقدرون سلامة ذوقها ، ويريدون ادخال السرور على قلبها ، فيكلفونها بتجهيز البيت من صداقتها ، فيستهلك بالاستعمال دون ان تستفيد منه شيئاً واذا وقع الفراق استرجعته محطماً ، قد ضاعت قيمته وذهبت فائدته ، ودفعت في نزعها من مكانه وحمله ونقله الى بيت ابيها اضعاف ثمنه حينئذ .
- ٩ - في الفتاة التي يغالي ابوها في مهرها حتى يربك اقتصاديات خطيبها وهي ساكنة موافقة . كأنها لا تعلم ان الحالة الاقتصادية لخطيبها سوف تؤثر فيها ، لأنها ستعيش فيها .
- ١٠ - في اولئك النسوة اللواتي يضعن على اجسامهن اثقالاً من الذهب والجواهر ليحضرن الحفلات ، فيجلسن بسبب ما على اجسامهن من كنوز المعادن على كراسي الصدارة .
- ١١ - في تلك المرأة التي تذهب الى حفلة عرس فتأخذ معها حقيرة من الملابس ثم لا تفتأ تغير لباسها وزيتها من

حين الى حين كانها عارضة أزياء .

١٢ - في تلك المرأة التي تدخل الى المآثم كالزوجة ، فتقذف برءائها عند العتبة ، وتنطلق حنجرتها بالصراخ والعيول ، وقدمها بالنط والرفس ، ويدها باللطم والشق ، وبالتهشيم والتحطيم .

١٣ - في تلك المرأة التي ترى وتسمع ان زوجها يتلف امواله في القمار ، او ينهك صحته بالخمير ، او يمسخ اخلاقه مع قرناء السوء ، او يضيع اوقاته في محلات اللهو غير البريء . ثم تسكت عنه ، ولا تهتم بذلك . بدعوى احترام الحرية الشخصية .

١٤ - في تلك المرأة التي تقف عند الباب تنتظر وصول الزوج ، وما يصل حتى تبدأ بالحساب ، تحصي عليه كل خطوة ، وتفسر كل نظره ، وتحشر انفها الطويل في كل صغير وكبير ، تعامله كأنه طفل ، وتناقشه كأنه خادم ، وتتهمه في كل تصرف كأنه مجرم اثم .

١٥ - في الام التي لا يهمها من فرح ولدها او بنتها الا أن يتحقق لها المظهر الذي تريد ان تظهر به بين الناس لتكبت حسادها وتقهر اعداءها . اما النتائج التي تترتب من ذلك على مستقبل الولد او البنت فلا تدخلها في حساب ولا تضع لها اي اعتبار ، ولا تصرف اليها اي نوع من الاهتمام .

هذه بعض الجوانب التي تحدثنا عنها في الفصول السابقة وكم أتمنى أن أعرف رأي الفتاة فيها ولو

انني اعلم ان ذلك شبيه بالمستحيل . ولكنني مع ذلك اطمع ان ارى جوابها العملي عن الاسئلة السابقة في حياة المجتمع العامة ، الذي سوف تتحكم الفتاة المتعلمة في نفخ روحه ، وتقدير سلامته ، وصياغة شكله ، واقرار دعائمه وركائزه .

وكما وددت ان اوجه الى الفتاة عدداً من الاسئلة فاني كذلك اود ان اوجه اليك ايها الفتى عدداً من الاسئلة فما رأيك فيما يلي ؟ :

١ - في الرجل الذي يعتقد ان عملية الزواج هي اناحة فرصة له ليحكم ويتصرف كما يريد ، وان عملية الزواج تضع في كفه كل الحقوق ، ولا تضع على كاهله شيئاً من الواجبات ، وان عملية الزواج تحقق له غرائزه وعواطفه واحساساته ثم سعادته فاذا لم يتحقق له شيء من ذلك تفصى منها غير مقدر للاطراف الاخرى اهميتها في الموضوع .

٢ - في ذلك الرجل الذي يدخل الى البيت فيجد ستارة النافذة مرفوعة ، أو صحن الشورباء ينقصه الملح ، أو ان قطع اللحم لم تنسق على الكسكسي كما يجب هو فيقف متنفخ الاوداج ويصرخ في وجه ربة البيت - انت طالق - كأنما جاء بها خادمة من عرض الشارع قبل ان يكون للخدم حقوق ، وللعمال نقابات .

٣ - ذلك الرجل الذي يسمع انه هو القوام على المرأة .

فإنهم ان القوامه معناها التصرف دون اعتبار او حدود فيسب . ويلعن . ويضرب ويطلق . كأنما خلقه الله وحده في الكون .

٤ - ذلك الرجل الذي يحس بالذلة فيلتمس اصهاراً يعزّز بهم . او بالفقر فيبحث عن اصهار يستغني بثروة بتهم . او بغلبة الشهوة فيحاول ان يطفئها بالجمال وحده .

٥ - في الرجل الذي يعطي صداق زوجته لاييها او أمها وهو يعلم انه لا يصلها ويعتقد مع ذلك انه ابرأ ذمته منها فيما بينه وبين الله .

٦ - في الرجل الذي يؤول الصداق او قسماً منه وهو قادر على دفعه ثم لا يدفعه ابداً .

٧ - في ذلك الرجل الذي نشأ فقيراً ثم انعم الله عليه فاصبح يقيس الدنيا بالمال ويحاول ان يظهر في المجتمع بما ينفعه حقاً وباطلاً في اسراف وتبذير .

٨ - في ذلك الرجل الذي سيطر الذهب على احساسه فاصبح يقوم الناس بما يملكون .

٩ - في ذلك الفتي الذي يقبع منتظراً حتى يتم تقويم ابويه للناس على ميزان الذهب ثم تقع في ايديهم الفريسة السهلة لتكون له زوجة .

١٠ - في ذلك الرجل الذي تقيد بجمعه بعرف جار تحدد فيه الصداق فلم يقع التغالي في المهور . فحاول ان

يحطم العرف فلما لم يستطع انحرف الى الاسراف في الهدايا والولائم وخلق المناسبات .

١١ - في ذلك الرجل الذي اراد اصهاره ان يستعبده لبتهم فاشترطوا عليه مبالغ باهظة من المال لو حاول ان يتحرر ، فاخضع عنقه للوثاق ومد يده للقيد ، ووضع رجله - طائعا - في الفخ .

١٢ - في ذلك الاب الذي يفقد الثقة بالله ، ويسيء الظن بابنته وزوجها ، فيحاول ان يستكشف مجاهيل المستقبل ويضع لمشاكله الحلول .

١٣ - في ذلك الرجل الذي يتخلى عن مسؤوليته كزوج ، ويشترك في موامرة على الفتاة التي اختارها ان تكون زوجته . فيقنعها بان تجهز بيت الزوجية من صداقها فيستعمله هو واسرته وضيوفه بصفاقة حتى يستهلك ، واذا كتب بينهما الفراق سلمه اليها حطاماً لا جدوى منه ولا فائدة فيه .

١٤ - في ذلك الرجل الذي يحتقر مجتمعه ويغلبه التقليد والتظاهر بالحضارة فينتقل بعقد قران ابنه أو بنته من منزله الى فندق او ناد .

١٥ - في ذلك الرجل الذي يعرف ان زوجته تضع على جسمها اكداساً من الذهب ثم تذهب الى الفرح فتجلس على كرسي الصدارة كعجل بني اسرائيل ثم يسكت عن ذلك او يعجب به .

١٦ - في ذلك الرجل الذي تعود اليه زوجته مجروحة الخد .
مشفوقة اجيب . ممزقة الثوب فيستقبلها في صمت
ورضى .

١٧ - في ذلك الزوج الذي تتصرف زوجته كما يحلو لها
الموى تم لا يفتح فمه ليسألها عن شيء ابدأ .

١٨ - في ذلك الرجل الذي تقع المنكرات امام انفه وبين
عينيه وربما يشترك فيها احد المسئولين امامه من افراد
اسرته . ثم لا يهتم بتلك المنكرات ، ولا يعمل على
تغييرها .

هذه بعض الجوانب التي تحدثنا عنها في الفصول السابقة ،
وكم اتمنى ان اعرف رأي شبابنا المثقف فيها ، ولو
انني اعرف ان ذلك شبيه بالمستحيل . ولكنني مع ذلك
اطمع ان ارى الجواب العملي عن الاسئلة السابقة في
حياة المجتمع العامة ، الذي سوف يتحكم الشباب
المثقف في نفخ الروح فيه ، بعد صياغة شكله ،
واقرار دعائمه وركائزه .

اللهم انا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، ونعوذ
بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، وعين لا تدمع ،
ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها .

فہرست

٧	...	...	...	...	...	...	مقدمة
١١	...	...	...	...	...	...	الرباط المقدس
١٨	...	...	...	...	...	...	كيف ينعقد الرباط المقدس
٢٢	...	...	...	...	...	...	لاسس التي ينبنى عليها الرباط المقدس
٢٩	...	...	...	...	...	...	أسس اختيار الزوج
٣٧	...	...	...	...	...	...	الصداق او المهر
٤٠	...	...	...	...	...	...	من نتائج غلاء المهور
٥٦	...	...	...	...	...	...	اسباب غلاء المهور
٦٢	...	...	...	...	...	...	المهور ليست غالية
٦٩	...	...	...	...	...	...	المهر حق لمن ؟
٧٧	...	...	...	...	...	...	التعجيل والتأجيل في الصداق
٨٢	...	...	...	...	...	...	عادات تسرب
٨٥	...	...	...	...	...	...	شروط في المهر
٩٣	...	...	...	...	...	...	كيف نخاط لمستقبل البنت
١٠١	...	...	...	...	...	...	جهاز البيت
١٠٦	...	...	...	...	...	...	مكان العقد
١١١	...	...	...	...	...	...	تمثيل من ذهب
١١٧	...	...	...	...	...	...	ازواج صوريون
١٢٨	...	...	...	...	...	...	سلبية واستسلام
١٣٢	...	...	...	...	...	...	كلمة ختام

